كتب تربوية (٢)

نفائس الحُلّة في التآخي والخُلّة

بقلم : عرفات سالم الروحي
على صالح الهزاع
مراجعة : الدكتور/عبد الستار أبو غدة

مكتبة المنار الإسلامية

نفائسُ الحُلّة
في
التآخي والخُلّة

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

مكتبة المنار الإسلامية
طباعة ونشر وتوزيع الكتب والأشرطة الإسلامية
كويت - حولي - شارع المثنى - ص.ب: ٤٣٠٩٩ - الرمز البريدي: 32045
تليفون: ٢٦١٥٠٤٥ - ٢٦٥٤٦٣٩ - فاكس: ٢٦٣٦٨٥٤

الاهـداء

الى من اختار طريق الدعوة والجهاد وانتـدب نفسـه لخدمة دينه وحراسة أمته الذاهب مع السداد في أجمل طريق المقـدم لتقـوى الله سبحـانـه في سـائر افعـالـه المؤثر لرضاه في جميع احوالـه الـذي مـا وجـد سبيلا الى الصلاح الا سلكهـا ولا طريقـا الى الاستصلاح الا ركبها الخاشع لجلال اتفاق الكثرة على المبـدأ الحق مع روعة عمل الجماعة للغاية الواحدة الفرح بجمال تعانق القلوب المؤمنـة وامتزاج الأرواح المطمئنـة المـؤتلفـة على المنهج المنتظر فـوزه في الغـد القريب تعرف في وجـوههـا نظرة الاستبشـار بـوعـد الله تعـالى لهم الوافدين المحتشدين لطاعة الله تبارك وتعالى والجهـاد في سبيله .

نهـدي هـذا الكتاب

☆ تصدير :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ
وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ
جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ
أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ
عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ
ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ
إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟
مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾

سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد :

.. فإن من مقتضى وحدة المسلمين وقوتهم ، الحب في الله والتجمع عليه، فالمسلمون عبر تاريخهم لم تنقصهم الأموال والأعداد ، وإنما ينقصهم التجمع والتكتل وصفاء القلوب وارتباطها ، فما انتصر المسلمون الأوّل إلا بقوة إيمانهم وسلامة عقيدتهم واتحاد كلمتهم ، ومهما ابتغى المسلمون النصر بغيرها ذلّوا وخسروا وضعفوا بوصفهم مسلمين .

إن الإسلام ما كان له أن يصنع بالمسلمين ما صنع لولا أنه جمعهم على أقوى وشيجة عرفها التاريخ وهي العقيدة بأنهم إخوة في دين الله، يرتبطون به ويتباذلون الحب على أساسه ، وحدوده هي التي تحكمهم وتنظم ما بينهم من حب وثيق .

يا قومنا إن الحب في الله يضاعفنا أضعافاً كثيرة ويزيدنا قوة إلى قوتنا ذا صفت نفوسنا واتصلت أرواحنا وأخلصنا لله في أعمالنا وأقوالنا .. فلا تتولّوا مدبرين !

ثلاث منجيات في حياة هذه الأمة :

معرفة الله تعالى ، والحب فيه ، والجهاد في سبيله،وأولياء الله هم الذين لا يعبؤون بالمظاهر الجاهلية التي دأب عليها كثير من المسلمين ، والله يناديهم من ورائهم ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ وعليه فإن المسلمين لا يمكن إن يبقوا متباعدين الى أجل غير مسمى إذا التحموا فيما بينهم على معنى الحب في الله والدعوة اليه والجهاد في سبيله ، فإن الالتقاء على الحق سبحانه من طبيعته أن يؤلف بين المسلمين ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين ، ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً الى حظيرة الحب فيه خير لك من الدنيا وما فيها ، ولا تحسب ساعة أسعد من تلك التي تنقذ فيها مخلوقاً من شقاء الفرقة والخلافات وترشده الى طريق الاستقامة والسعادة ، وأعتقد أن خير النفوس تلك النفس الطيبة التي ترى سعادتها نفع الناس وإرشادهم ، وتشهد سرورها في إدخال السرور عليهم وذود المكروه عنهم ، وتجد في التضحية في سبيل إصلاحهم راحة ولذة ، وربحاً وغنيمة ، وعلى هذا فاسلك أيها المسلم سبيل الربانيين في ربط مصالحك بمصالح المسلمين ، وتقديم المصلحة العامة لهم على مصلحتك الخاصة بك ، وأن ترتبط معهم برابطة الأخوة والحب في الله فهي أسمى وأغلى رابطة على الإطلاق .

روى الحافظ ابن عساكر في تاريخه أن احمد بن عمار الاسدي قال :

خرجنا مع المعلم في جنازة ، ومعه جماعة من اصحابه، فرأى في طريقه كلابا مجتمعة بعضها يلعب مع بعض، ويتمرغ عليه ويلحسه ، فالتفت الى اصحابه فقال : انظروا الى هذه الكلاب ما أحسن أخلاق بعضها مع بعض : قال : ثم عدنا من الجنازة ، وقد طرحت جيفة ، وتلك الكلاب مجتمعة عليها وهي تهارش بعضها مع بعض، ويخطف هذا من هذا ، ويعوي عليه، وهي تتقاتل على تلك الجيفة، فالتفت المعلم الى اصحابه، فقال لهم : قد رأيتم يا اصحابنا متى لم تكن الدنيا بينكم فانتم اخوان ، ومتى ما وقعت الدنيا بينكم

تهارشتم عليها تهارش الكلاب على الجيفة)[1]

فيا عباد الله العاملين انظروا بعين البصر والبصيرة إلى أي حد نحن محتاجون الى عقيدة تلهب فينا العزة والحماسة، ورابطة تعين على الحق والعدل، وقلوب حية تستجيب لله ورسوله لما يحييها، وإلاّ فإن الله تبارك وتعالى سيستبدل بنا قوماً آخرين يحبهم ويحبونه، أعزة على الكافرين، أذلة على المؤمنين، وما ذلك على الله بعزيز .

عدنان سالم الرومي — علي صالح الهزاع

(١) تهذيب ابن عساكر (٤١٤/١) .

﴿ فضيلة المحبة في الله ﴾

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ الأنفال (٧٣)

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله - ﷺ - : إن الله يقول يوم القيامة : (أين المتحابون بجلالي ؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلّي) [١] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي - ﷺ - عن الساعة ، فقال : متى الساعة ؟ قال : وما أعددت لها ؟ قال : لا شيء، إلاّ أني أحبُ اللهَ ورسوله، فقال : أنت مع من أحببت ، قال أنس . فما فرحنا بشيء فرحَنا بقول النبي - ﷺ : انت مع من أحببت، قال انس : فأنا أحب النبي - ﷺ - وأبا بكر وعمر ، وأرجو أن أكون معهم بِحُبّي إياهم ، وإن لم أعمل أعمالهم [٢] .

وقال الله تعالى :

(حقت محبتي للمتحابين فيّ ، وحقت محبتي للمتواصلين فيّ ، وحقت محبتي للمتناصحين فيّ ، وحقت محبتي للمتزاورين فيّ ، وحقت محبتي للمتباذلين

---

(١) اخرجه مسلم (رقم ٢٥٦٦) والموطأ (٢/٩٥٢)

(٢) البخاري (رقم /٣٦٨٨) ومسلم (رقم/٢٩٥٣) ملاحظة : اعتمادنا على (فتح الباري) الطبعة السلفية بالنسبة لصحيح البخاري والأرقام أرقامها .

فيّ، المتحابون فيّ على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبييون والصديقون والشهداء .[3]

وعنه - ﷺ - (أوثق عرى الايمان الموالاة في الله ، والمعاداة في الله ، والحب في الله والبغض في الله) .[4]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله - ﷺ قال :

(إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى ، فأرصَدَ الله له على مَدرجته مَلَكاً، فلما أتى عليه قال : أين تريدُ ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية، قال : هل لك عليه من نعمة تَربُّها ؟ قال : لا ، غير أني أحبَبْتُهُ في الله ، قال : فإني رسول الله إليك بأنَّ الله قد أحبَّك كما أحببته فيه) .[5]

---

(٣) صحيح الجامع الصغير (رقم/٤١٩٧)

(٤) الاحاديث الصحيحة (رقم / ٩٩٨)

(٥) اخرجه مسلم (رقم / ٢٥٦٢)

- ما جاء في انتقاء الاخوان -

(الرجـل على دين خليلـه ، فلينظر أحدكم من يخالِلْ)[1]

فقد نبه الحديث على انتقاء الصاحب والتحري في اختياره لأن للصاحب من التـأثير مـا ليس لغيره ، إن كان خيِّراً فخيرا ، وإن كان شريراً فشرا ، بحيث يمكن لمصاحبة الاخيار ومجالستهم أن تجعل الشرير خيِّراً وصالحاً ، كما أن صحبة الاشرار قد تجعل الخير شريرا فاسدا، وقد ضرب النبي - ﷺ - لذلك مثلا فقال : (إنما مثلُ الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ، ونافخ الكير ، فحامل المسك : إما أن يُحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبةً ، ونافخ الكير : إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثةً)[2] وقال لبيد بن ربيعة التابعي الجليل :

(ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه القرين الصالح)[3]

☆ أولا ... من تخالل :

لا شك انه الرجل الصالح من المؤمنين ، الذي يبدي لك خيره لتقتدي به ، ويواري عنك شره لئلا تستوحش منه ، ولأن مصاحبة صالح المؤمنين لها

---

(١) الاحاديث الصحيحة (رقم / ٩٢٧)

(٢) اخرجه البخاري (٢٢٧/٥) ومسلم (رقم / ٢٦٢٨)

(٣) تهذيب الاسماء واللغات (٧١/٢)

اثر في صفاء السلوك ، وتهذيب الاخلاق ، وطيب القلب ، ونشر العلوم ما ليس لغيرهم .

أنت في الناس تقاس
بالذي اخترت خليلا
فاصحب الاخيار تعل
وتنل ذكراً جميلاً
صحبة الخامل تكسو
من يواخيه خمولا [1]

وقال النبي - ﷺ - : (إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي ، إنما وليّي الله وصالح المؤمنين) [2] .

وليس من شروط هذا الصاحب تكامل صفاته الظاهرة والباطنة بقدر ما هي صفات تصلح معها المعاشرة وتصح بها الاخوة ، وتنتفي فيها أسباب الملل والقطيعة ، فالكمال في الصفات عزيز وقليل الوجود، وليس موجوداً إلاّ في الموفقين ، والموفقون قلائل .

لكن لا بد من التحري والتثبت لبناء أخوة صالحة قائمة على بنيان متين من الحب الخالص والصفات المتكافئة والاشكال المتآلفة المتوافقة ، فقد أخبر النبي - ﷺ - (الارواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف) [3] فلا بد من تقارب الصفات والاشكال بين المتحابين على اخوة الاسلام والملة السمحة . ولهذا قال الحافظ ـ عبد الرحمن بن خراش ـ المتوفى (٢٨٣ هـ) :

وقائل : كيف تهاجرتما	فقلت قولا فيه انصاف
لم يَكُ من شكلي فتاركْتُه	والناس أشكال وألاّفُ [4]

(١) نفح الطيب (٤/٦٧)

(٢) البخاري (رقم / ٥٩٩٠) ومسلم (رقم / ٢١٥) واحمد (٤ / ٢٠٣)

(٣) البخاري (رقم / ٣٣٣٦) مسلم (رقم / ٢٦٣٨)

(٤) تاريخ بغداد (١ / ٢٨١)

وقال آخـــر :

ذو النقص يصحبُ مثله　　　والشكل يألف شكله
فاصحب أخا الفضل لكي　　　تقفو بفعلك فعلــه
أمـا تـرى المسـك دأباً　　　يكسب طيبـا محلّه [1]

وقـال ثالث :

فقلت اخى ، قالوا : أخٌ من قرابة
فقلت لهم : إن الشكول أقـارب
نسيبي في رأيي وعزمي وهمتي
وان فرقتنا في الاصول المناسب [2]

ويقول الشيخ - أحمد بن عطـاء - المتوفى (٣٦٩) : (مجالسـة الاضداد ذوبـان الروح، ومجـالســة الاشكال تلقيح العقـول ، وليس كل من يصلح للمجالسـة يصلح للمؤانسة ، ولا كل من يصلح للمؤانسـة يؤمن على الأسرار ، ولا يؤمن على الأسرار إلاّ الأمناء فقط !) [3] .

ومع هنا كله تبقى هناك حقيقـة ينبغي أن ننتبه اليهـا وهي الطبيعة البشرية عند الناس التي تطالب بحقها من النقص وعدم تكامل البشر ، ولهذا يقول سعيد بن المسيب - سيد التـابعين - : (إنـه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضـل إلاّ وفيــه عيب ، ولكن من النـاس من لا ينبغي ان تـذكر عيوبه ، ومن كان فضله أكثر من نقصه ، وهب نقصه لفضله) [4]

وايضـاً على المسلم أن يصبر نفســه على مصـاحبـة الاخيـار ومجـالستهم ويحتسب في ذلك ما قـد يصيبـه من أذى من استيلاء النقص على بعضهم ، واختلاف أهل الايمان طبعاً وسلوكاً ، كما قال سبحانه :

(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾) [5]

---

(١) نفح الطيب (٤ / ٨٥)

(٢) ادب الدنيا والدين - للماوردي (١٤١)

(٣) البداية والنهاية (١١ / ٢٩٦)

(٤) البداية والنهاية (٩ / ١٠٠)

(٥) سورة الكهف (٢٨)

ويبقى بعد هذا (من تجدهم قوماً سُوساً كطبع السُّوس لا ينال شيئاً إلاّ نخره أو عابه ، وقوماً دُوداً كطبع الدُّود لا يقعُ في شيء إلا أفسده أو قذَّره)[1] فاياك واياهم فهم قرناء السوء الذين عناهم الله سبحانه وتعالى بقوله :

(ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ، وكان امره فرطا)[2].

اللهم ربَّ الأرض المُدحيَّة ، والسموات العلية ، والبحار المسجرة ، والرياح المسخرة ، اسمع ندائي ، واستجب دعائي، وثبت لساني واجعلني من المهديين .

(١) من تشبيهات الرافعي - وحي القلم (٢ / ٥٣) .

(٢) الكهف (٢٨)

من روائع ما قيل في .. التودد

(رِتْهُ أحتملْ واستطلْ أصبرْ وعزَّ أهُنْ
ووَالِ أقبلْ وقلْ أسمعْ ومُرْ أطِعِ)[1]

قال رسول الله ﷺ :

(مثل المؤمنين في تـوادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[2]

وقال ابو علي الكاتب المصري :

(روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وإن كتموها ، وتظهر عليهم دلائلها وإن اخفوها ، وتبدو عليهم وإن ستروها)[3]

وقال يحيي بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى في حقيقة الود :

(حقيقة المحبة أنها لا تزيد بالبر ، ولا تنقص بالجفاء)[4]

وقال في تنامي الحب ورعايته :

(ليس الحب إلاّ ما نشأ عليه القلب ونما ، ورُبى في أرض من المودة وسما)[5]

وعن الامام هلال الرأي في اخلاص المحبة وتنقيتها قال :

(أوثق المودات ما كان في الله عز وجل)[6]

---

(١) البداية والنهاية (١٢ / ١٠٤)

(٢) البخاري (رقم / ٦٠١١) ومسلم (رقم / ٢٥٨٦)

(٣) البداية والنهاية (١١ : ٢٢٨)

(٤) طبقات الشافعية (٦ : ٥١)

(٥) طبقات الشافعية (٦ : ٦٥)

(٦) تاريخ دمشق (١ : ٤٣٦)

وقال أبو عمرو كلثوم بن عمرو العتابي :

(ولقد بلوت الناس ثم سبرتهم

وخبرت ما وصلوا من الأنساب

فاذا القرابة لا تقرب قاطعاً

وإذا المودة أقرب الأنساب) [١]

وعن الامام أبي حازم في أن المودة والحب في الله هي وشيجة العقيدة ، فقال :

(المودة لا تحتاج الى القرابة ، والقرابة تحتاج الى المودة) [٢]

وقال رسول الله ﷺ :

(أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم أخلاقاً ، الموطؤون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف) [٣]

ومما قال سعيد بن العاص رحمه الله تعالى :

(اني لأكره أن يمرّ الذُباب بجليسي مخافة أن يؤذيه) [٤]

وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه في المحبة الحقة :

(لا يكون الصديق صديقاً ، حتى يحفظ صديقه في غيبته وبعد وفاته) [٥]

ومن روائع كلام الشافعي رحمه الله تعالى في الاخوة قوله :

(من صدق في أخوة أخيه : قبل عِلله ، وسد خلله ، وعفا عن زلله) [٦]

---

(١) اللباب في تهذيب الانساب (٢ : ٦٠)

(٢) تاريخ بغداد (١١ : ٩١)

(٣) الطبراني في المعجم الصغير (١ / ٢١٨) ومن طريقه رواه ابو نعيم في اخبار أصبهان (٢ / ٦٧) - والحديث صحيح .

(٤) العقد الفريد (٢ : ٤٢٩)

(٥) بهجة المجالس (١ : ٦٨٦)

(٦) الامام الشافعي - عبد الغني الدقر (٣٤٣)

وعن جرير رضي الله عنه قال :

(ما حجبني النبي - ﷺ - منذُ أسلمتُ ، وما رآني إلاّ تبسم)[1]

وروى - الابنادي - رحمه الله تعالى عن (الأثرم) أنه قال :

(دخل اليزيدي يوماً على (الخليل بن أحمد) وهو جالس على وسادة ، فأوسع له ، فجلس معه (اليزيدي) على وسادته ، فقال له اليزيدي : أحسبني قد ضيقت عليك ، فقال الخليل : ما ضاق مكان على اثنين متحابين ، والدنيا لا تسع اثنين متباغضين)[2]

ومما جاء في المحبة الخالصة : (إذا استحكمت المودة بطلت الكلفة)[3]

ونختم هذا الفصل بكلمة (لابن قيم الجوزية) عليه رحمة الله تعالى في الود والتلطف فيقول : (فإن الناس ينفرون من الكثيف ، ولو بلغ في الدين ما بلغ ولله ما يجلب اللطف والظرف من القلوب فليس الثقلاء بخواص الأولياء . وما ثقل أحد على قلوب الصادقين المخلصين إلاّ من آفة هناك، وإلاّ فهذه الطريق تكسو العبد حلاوة ، ولطافة وظرفا . فترى الصادق فيها : من أحلى الناس ، والطفهم وأطرفهم . قد زالت عنه ثقالة النفس ، وكدودة الطبع ، فتراه أكرم الناس عشرة ، وألينهم عريكة، وألطفهم قلباً وروحاً!)[4]

فاللهم اجمع على الهوى أمرنا ، وأصلح ذات بيننا ، وألف بين قلوبنا ، واجعل قلوبنا كقلوب خيارنا ، واهدنا سواء السبيل . آمين ! .

---

(١) البخاري (رقم ٣٠٣٥ و٣٨٢٢ و٦٠٨٩) ومسلم (رقم / ٢٤٧٥)

(٢) نزهة الألباء (٧٠)

(٣) معجم الادباء (٩ / ٢٥٥)

(٤) تهذيب مدارج السالكين : (٥٧٦)

☆ تنـوير :

« واما عقد (الإخوة) بين الناس في زماننا ، فان كان المقصود منها التزام الأخوة الايمانية التي اثبتها الله بين المؤمنين بقوله : (انما المؤمنون أخوة) وقول النبي ﷺ: (المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه) وقوله : (لا يبع أحدكم على بيع اخيه ، ولا يساوم على سوم اخيه ، ولا يخطب على خطبة اخيه) وقوله : (والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه من الخير ما يحبه لنفسه) ونحو ذلك من الحقوق الايمانية التي تجب للمؤمن على المؤمن . فهذه الحقوق واجبة بنفس الايمان ، والتزامها بمنزلة التزام الصلاة والزكاة والصيام والحج ، والمعاهدة عليها كالمعاهدة على ما اوجب الله ورسوله ، وهذه ثابتة لكل مؤمن على كل مؤمن ، وإن لم يحصل بينهما عقد مؤاخاة»[1]

(١) الفتاوي : (١١/١٠٠ ـ ١٠١)

الفصل الأول

مظاهر الأخوّة وأسباب تقويتها

استعمال الرحمة والرفق

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[1]

فهو من أعظم دواعي الحب والألفة بين الاخوان والاصحاب بحيث يجعل نفوس المتحابين وأموالهم ليست لهم بل هي قسمة وشركة بينهم ، وما أتحفت النفوس بمثل استعمال الرفق والرحمة . وإنه ما كان في شيء إلاّ زانه ، وما نزع من شيء إلاّ شانه ، وإن الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، فمن أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حُرم حظه من الخير كله . واليك بعضاً من صور الرحمة للرسول ﷺ .

فعن أبي قتادة الحارث بن ربعي رضي الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ : (إني لأقومَ الى الصلاة ، وأريدُ أن أطوّلَ فيها ، فأسمع بُكاءَ الصبيِّ ، فأتجوّز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه)[2]

وقال ايضاً :

(إن الله لم يبعثني مُعنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني مُعلماً ميسراً)[3]

---

(١) الفتح (٢٩)

(٢) البخاري (رقم / ٧٠٧)

(٣) مسلم (رقم / ١٤٧٨) واحمد (٣/ ٣٢٨) وهو قطعة من حديث .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

(إذا أم احـد النـاس فليخفف فـإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض فإذا صلى وحده فليصل كيف شاء)[1]

بل أنه ﷺ دعا الى الرحمة العامة ونشرها بين الناس قاطبة بحيث تستوعب المجتمع العالمي والانساني كله فقال : (والذي نفسي بيده ، لا يضع الله رحمته إلاّ على رحيم ، قالوا : كلنا يرحم ، قال : ليس برحمة أحدكم صاحبه ، يرحم الناس كافة)[2]

واليك بعض الصور المشرقة في الرحمة والشفقة على المسلمين من تاريخنا المجيد الخالد على مر الأيام والدهور .

حكى الإمام ـ ابن عساكر في تاريخه الكبير ، (أن معاوية بن الحارث ، كان عاملاً لعمر بن عبد العزيز ـ عليه رضوان الله تعالى ورحمته على غزاة . فبعث اليه رسولا ، فقال له عمر . هل سلم المسلمون ! قال نعم ! قال : كلهم! قال : نعم ، إلاّ رجلاً واحداً ، عدلت به دابته فساح في الثلج ، قال : فصنع ماذا .

قال : هلك . فقال : لقد أطلقتها غير مكترث ، على بفلان ـ كاتبه ـ فكتب الى عامله ـ معاوية ـ إياك وغارات الشتاء ، فوالله لرجل من المسلمين احب إليّ من الروم وما حوت !)[3]

الاحساس بالاخوة والحب في الله سبحانه ، فوالله الذي لا اله الاّ هو ما أحب انسان في الله ولله إلا وجد ما وجد عمر بن عبد العزيز ـ من الرحمة والشفقة والاخوة، انه الحب في الله ولله سبحانه وتعالى الصور الجميلة لهذا الاحساس نحو المسلمين بالشفقة والرحمة، والشعور بشعورهم والاحساس

---

(١) البخاري (رقم ـ ٧٠٣) ومسلم (رقم / ١٨٣) واللفظ له و في روايه (ذا الحاجة)

(٢) الاحاديث الصحيحة (رقم / ١٦٧)

(٣) تهذيب تاريخ دمشق (٢٤٨/٢)

باحساسهم، وذُكر عن الامام الكبير ـ محمد رضا ـ الداعية المصرى. انه من فرط اهتمامه بأمور المسلمين ومشاكلهم يكون في حالة تذهل فيها عن نفسه ويكاد يقضي عليها، « ومن الظريف ان امه أقتحمت عليه خلوته فرأته واجماً ، فقالت له تمازحه ـ باللهجة المصرية ـ : هو في مسلم مات اليوم في الصين » وجاء ايضاً : عن (هارون بن عبد الله الحمال) قال : (جاءني أحمد بن حنبل) بالليل فدق الباب عليّ فقلت من هذا : فقال : أنا أحمد ، فبادرت أن خرجت اليه ، فساني ومسيته ، فقلت حاجة أبا عبد الله ؟ قال: شغلت اليوم قلبي قلت : بماذا يا أبا عبد الله ؟ قال : جزت عليك اليوم وأنت قاعد تحدث الناس في الفيء ، والناس في الشمس بأيديهم الاقلام والدفاتر، لا تفعل مرة أخرى ، إذا قعدت فاقعد مع الناس[1]

عجيب ما قرأنا ايها القارىء عن حب المسلم للمسلم ورحمته إياه واشفاقه عليه ما جاء في تاريخ بغداد للحافظ الخطيب البغدادي في ترجمة ـ الطيب أسماعيل أبي حمدون ـ أحد القراء المشهورين قال :

كان ـ لأبي حمدون صحيفة فيها مكتوب ثلاثمائة من أصدقائه ، وكان يدعو لهم كل ليلة ، فتركهم ليلة فنام ، فقيل له في نومه ، يا أبا حمدون : لِمَ لَمْ تُسرج مصابيحك الليلة ، قال : فقعد فأسرج ، وأخذ الصحيفة فدعا لواحد واحد حتى فرغ)[2]

إن المؤمن شعبة من اخيه المؤمن ، كما وصفهم رسول الله ﷺ : (كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) أو كما قال ﷺ وما أجمل قول النابغة ـ حين ذكر ، أن الرفق طريق النجاح والسعادة ، وأن لا شيء فوقه ولا دونه في نوال المطلوب فقال :

(والرفق يمن والأناة سعادة فاستان فى رفق تلاق نجاحا)[3]

---

(١) تاريخ بغداد (٣٢/١٤)

(٢) تاريخ بغداد (٣٦١/٩)

(٣) تهذيب ابن عساكر (٥ / ٤٣٢)

خفض الجناح

لأن يلاطف الرجل أهل مجلسه ويُحسن خلقه معهم ،خير له من قيام ليلِهِ ، وصيام نهارِه)[1]

(الفضيل بن عياض)

فعن أبي هريرة قال ، قال رسول الله ﷺ :

(أكمل المؤمنينَ إيماناً أحسنهم خلقاً)[2]

وعن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله ﷺ :

(إن منْ أحبكم إليّ أحسنكم أخلاقاً)[3]

وعنه قال ، قال رسول الله ﷺ :

(إنّ من خيارِكم أحسنكم أخلاقاً)[4]

وعن عائشة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

(إن المؤمن ليُدرِك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار)[5]

وفي حسن خلقه - ﷺ :

---

(١) الوفيات (٤ : ٤٨)

(٢) مشكاة المصابيح (٢ : ١٤١١) واسناده حسن

(٣) البخاري (رقم / ٣٧٥٩) واحمد (١٩٣/٤ و ١٩٤)

(٤) البخاري (رقم / ٦٠٣٥) ومسلم (رقم / ٢٣٢١)

(٥) مشكاة المصابيح (٢ : ١٤٠٩) واسناده صحيح .

عن أنس قال : (أن امرأة كان في عقلها شيء ، فقالت : يا رسول الله ، إن لي اليك حاجة ، فقال : يا أم فلان ـ انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك ، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها)[1]

(كان رسول الله ﷺ اذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء ، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيه ، وربما جاءه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها)[2]

وفي حسن خلق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، روى الخطيب البغدادي في تاريخه عن ابن عون عن أبيه عن جده ـ أرْطبيات ـ قال : أتيت عمر بن الخطاب ـ بصدقة مالي، فقال لي : بارك الله لك في مالك، قلت : يا أمير المؤمنين وأهلي ، قال : ولك أهل ؟ قلت : يكون ، قال وأهلك)[3].

وروى ايضاً عن سلمة بن شبيب قال : (سألت أحمد بن حنبل عن محمد ابن معاوية النيسابوري فقال : نعم الرجل «يحيى بن يحيى» !)[4]

وروى الشيخ السخاوي في ادب الشيخين (قاضي القضاة) أحمد بن ابراهيم ابن حماد المالكي والامام أبي جعفر الطحاوي الحنفي (المولود في ٢٢٩ هـ) فقال :

(كان هذا القاضي مع كونه (قاضي القضاة) إلاّ انه كان يتردد الى الإمام «أبي جعفر الطحاوي الحنفي » يسمع من تصانيفه . واتفق مجيء شخص لاستفتاء (الطحاوي) عن مسئلة ، والقاضي عنده ، فقال له الطحاوي: مذهب القاضي أيّده الله كذا وكذا . فقال له السائل : ما جئت الى القاضي . انما جئت اليك ، فقال : يا هذا ، هو كما قلت ، فأعاد السائل ،

---

(١) مسلم (رقم / ٢٣٢٦)

(٢) مسلم (رقم / ٢٣٢٤)

(٣) تاريخ بغداد (٢ / ٢٤٠)

(٤) تاريخ بغداد (٢٧٣/٧)

فقال له القاضي : أفته أيدك الله برأيك، فقال له الطحاوي إذاً حيث أذن القاضي أيده الله افتيته ، ثم أفتاه)[1] .

ومما يروى عن متانة اخلاق السلف رحمهم الله تعالى ما رواه القاضي عياض في تاريخه عن القاضي المالكي عبد الله بن طالب التميمي ـ المتوفى سنة ٢٧٥ هـ .

(فقد كانت لصاحبه عبد الرحمن بن عمران ـ المعروف بابن الورنة ـ ابنه خاصمها زوجها الى ابن طالب ، في أمر يجب فيه بينهما اللعان ، فما كلمها ما أمكنه ، ثم ألح الزوج عليه ، حتى حكم باللعان ، وتلاعنا ، وتفرقا .

وكان عبد الرحمن كثير الزيارة له من أجل العلم ، والمناظرة .

فقال ـ ابن طالب لأصحابه المتكلمين عنده في العلم :

اذا حضر ـ عبد الرحمن ـ فلا يذكر أحد مسألة في باب اللعان !)[2]

أرأيت ما اكرم خلقه ومروءته ودينه .

---

(١) ذيل التبر المسبوك (١٦)

(٢) ترتيب المدارك (٢ : ٢٠٤)

التزاور في الله

(وجبت محبتي للمتحابين فيَّ ، والمتجالسين فيَّ ، والمتزاورين فيَّ ، والمتباذلين فيَّ)(حديث قدسي) [1]

قال رسول الله ﷺ في فضل الزيارة .

(ألاَ أخبركم برجالكم من أهل الجنة؟ النبي في الجنة، والشهيد في الجنة ، والصدّيق في الجنة ، والمولود في الجنة ، والرجل يزور اخاه في ناحية المصر في الله في الجنة) [2]

وهذا لأن الزيارة داعية لتقارب المؤمنين وتجانسهم وتعارفهم ، كما انها تنمي المودة والمحبة في قلوبهم فيكونون اخوانا حقاً كما امرهم الله تعالى :

(لا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله اخواناً) [3]

وكان الامام احمد بن حنبل عليه رحمه الله تعالى : (اذا بلغه عن شخص صلاح أو زهد ، أو قيام بحق ، أو اتباع للأمر ، سأل عنه ، وأحب أن يجري بينه وبينه معرفة ، وأحب أن يعرف أحواله) [4]

---

(١) الموطأ (٢/٩٥٣)

(٢) صحيح الجامع الصغير (٢٦٠١)

(٣) البخاري (رقم / ٦٠٦٥) ومسلم (رقم / ٢٥٥٩)

(٤) المناقب لابن الجوزي (٢١٨)

ومن عجيب ما روى ابن الجوزي في المناقب ـ زيارة الامام أحمد بن حنبل للامام القدوة ـ اسحاق بن راهوية ـ واليك القصة كما هي بكاملها :

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : (لما أُطلق أبي من المحنة ، خشي أن يجيء اليه ـ اسحاق بن راهويه فرحل ابي إليه ، فلما بلغ الريّ دخل الى مسجد،فجاء مطر كأفواه القرب ، فلما كانت العتمة قالوا له :

أخرج من المسجد فانا نريد أن نغلقه ، فقال لهم : هذا مسجد الله وأنا عبد الله فقيل له : أيما أحب اليك أن تخرج أو نجر برجلك ؟ قال أحمد : فقلت سلاما ، فخرجت من المسجد والمطر والرعد والبرق فلا أدري أين أضع رجلي ولا أين اتوجه ، فاذا رجل قد خرج من داره ، فقال لي :

يا هذا أين تمر في هذا الوقت ؟ فقلت : لا أدري أين أمر ؟ فقال لي : ادخل ! فأدخلني دارا ونزع ثيابي وأعطوني ثياباً جافة وتطهرت للصلاة ، فدخلت الى بيت فيه كانون فحم ولبود ومائدة منصوبة ، فقيل لي : كل ! فأكلت معهم ، فقال لي : من أين أنت ؟ قلت : أنا من بغداد فقال لي : تعرف رجلا يقال له أحمد بن حنبل ؟ فقلت أنا أحمد بن حنبل ، فقال لي: وأنا سحق بن راهويه)[1] .

وقد قسّم ابن قيم الجوزية في كتابه ـ الفوائد ـ اجتماع الإخوان قسمين فقال :

□ اجتماع الإخوان قسمان :

ـ اجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت ، فهذا مضرته أرجح من منفعته ، واقل ما فيه أنه يفسد القلب ويضيع الوقت .

ـ اجتماع بهم على التعاون على اسباب النجاة والتواصي بالحق والصبر ، فهذا من اعظم الغنية وانفعها .

---

(١) المناقب لابن الجوزي (٣٨٠)

ولذلك كانت مجالسهم مجالس موعظة وتذكير ، تزيد الايمان ، وتصل بالرحمن .

فقد جاء : (ان سفيان الثوري خلا مع الفضيل بن عياض فتذاكرا و بكيا ، فقال ـ سفيان ـ للفضيل ـ : اني لارجو أن لا نكون جلسنا مجلساً اعظم بركة من هذا المجلس ، فقال الفضيل: لكني أخاف أن لا نكون جلسنا مجلساً أضرّ علينا منه ، قال : ولم يا أبا علي ؟

قال : ألست قصدت الى أحسن حديثك فحدثتني به ، وقصدت أنا الى أحسن حديثي فحدثتك به ، فتزينت لي ، وتزينت لك ، فبكى سفيان اشدّ من بكائه الأول ، وقال : أحييتني أحياك الله !)[1] .

فمجالستك لاخيك في الله هي تحفة النفس للنفس فلا تجعلها تافهة ، مناخاً للبطالين والفارغين ، وملجأ للمتعطلين ، بل هي مجالس الفائدة والعلم ، وزيادة الايمان والعمل الصالح .

فمجالسنا مجالس قدسية لا يطؤها القوم المسرفون .

ومما جاء في حفظ الصالحين لمجالسهم في الله ما روى عن عطاء انه قال : (كنت مع سفيان الثوري بمكة في المسجد الحرام ونحن نتحدث ، اذ قال لي سفيان : يا عطاء نحن جلوس والنهار يعمل عمله ، قلت : إنا لفي خير إن شاء الله ، قال : أجل ، ولكننا نتلذذ به !)[2]

وعلى هذا فأفضل الإخوان الذين ينبغي أن تحرص على مجالستهم رجل مكّنك من نفسه حتى تزرع فيه خيراً ، أو تصنع اليه معروفاً ، فإنه نعم العون لك على منفعتك وكمالك ، فانتفاعك به في الحقيقة مثل انتفاعه بك أو أكثر .

وأضرّ الناس والصديق عليك .. من مكن نفسه منك حتى تعصي الله فيه ، فهذا عون لك على مضرتك ونقصك ، فعياذاً بالله منه أبد الآبدين .

---

(١) كتاب ألف باء للبلوي (١ / ٢٧)

(٢) كتاب ألف باء للبلوي (١ / ٢٧)

وكان الامام ابن الجوزي يستعد لأهل الفراغ المتلذذين بالزيارة وارصد لهم عند زيارتهم اعمالا .. يقول : (فجعلت من المستعد للقائهم قطع الكاغد ، وبرى الأقلام ، وحزم الدفاتر ، فان هذه الأشياء لا بد منها ، ولا تحتاج الى فكر وحضور قلب ، فأرصدتها لأوقات زيارتهم لئلا يضيع شيء من وقتي !)(١)

نسأل الله عز وجل أن يُعرفنا شرف مجالسنا ، وأن يُوفقنا لاغتنامها «وما يلقاها إلاّ ذو حظٍ عظيم» .

ومما جاء في زيارة السلف لبعضهم البعض، وفرحهم بهذه اللقاءات الاخوية الداعية لمزيد من الايمان والحب في الله عز وجل ما روى الخطيب البغدادي في «تاريخه» عن النقاش انه قال : (بلغني أن بعض أصحاب محمد بن غالب أبي جعفر المقرىء جاءه في يوم وحل وطين ، فقال له : متى أشكر هاتين الرجلين اللتين تعبتا إلىّ في مثل هذا اليوم لتكسباني الثواب ؟ ثم قام بنفسه فاستقى له الماء وغسل رجليه !)(٢)

وآخر ما نختتم به هذا الفصل هذه الصورة المشرقة لزيارة تمت بين شيخين فاضلين من شيوخ الاسلام هما أبو عبيد القاسم بن سلام ، و احمد بن حنبل - الزيارة عبارة عن نموذج صالح جداً لكل الزيارات التي ينبغي ان تقوم بين الاخوان لما فيها من الآداب والاخلاق .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام : (زرت أحمد بن حنبل في بيته ، فأجلسني في صدر داره ، وجلس دوني . فقلت : يا أبا عبد الله ، أليس يقال: صاحب البيت أحق بصدر بيته . فقال : نعم ! يقعد ويُقعد من يريد . قال : فقلت في نفسي خذ إليك يا أبا عبيد فائدة .

---

(١) صيد الخاطر (٢٢٨)

(٢) تاريخ بغداد (٢ / ١٤٣)

قال : ثم قلت له : يا أبا عبد الله ، لو كنت آتيك على نحو ما تستحق لأتيتك كل يوم ، فقال : لا تقل، إنّ لي إخواناً لا ألقاهم إلاّ في كل سنة مرة، أنا أوثق بمودتهم ممن ألقى كل يوم . قال، قلت : هذه أخرى يا أبا عبيد. فلما أردت القيام، قام معي ، فقلت : لا تفعل يا أبا عبد الله ، فقال :

قال الشعبي : من تمام زيارة الزائر أن تمشي معه الى باب الدار وتأخذ بركابه ، قال، فقلت : يا أبا عبيد هذه ثالثة . قال : فمشى معي الى باب الدار وأخذ بركابي !)[1]

والى هنا ونترك لك التعليق وأن تسرح أيها القارىء بخيالك ، فاللهم اغفر ، فقد طغى القلم ، وزاد الكم ، فمياذاً بك اللهم من مقتك .. !

---

(١) المناقب (١١٣)

واذا مَرِضَ .. عاده

قـــال رســول الله ﷺ : (من لا يَرْحَمْ الناس لا يرحمه الله)[1]

قال رسول الله ﷺ :

(مـا من رجل يعود مريضـاً ممسيـاً ، إلا خرج معـه سبعـون ألف ملـك يستغفرون له حتى يصبح . ومن أتاه مصبحـاً خرج معـه سبعون الف ملـك يستغفرون له حتى يمسي)[2]

وفي سلسلة الاحاديث الصحيحة للشيخ الالباني ، أن الأبرّ الأتقى - ﷺ قال لاصحابه يوماً :

(انطلقـوا بنـا الى البصير الـذي في بني واقف نعـوده ، قـال : وكان رجلاً أعمى)[3]

---

(١) البخاري (رقم ٧٣٧٦) ومسلم (رقم / ٢٣١٩) واللفظ له .

(٢) صحيح الجامع الصغير (رقم الحديث ٥٥٩٣) .

(٣) الاحاديث الصحيحة (رقم / ٥٢١) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال :

(جاءني رسول الله ﷺ يعودني ، ليس براكب بغل ولا بِرْذَوْنٍ)[1]

وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وارضاه :

(إذا عاد الرجل أخاه لم يزل يخوض في الرحمة ، حتى إذا جلس عنده غمرته !)[2]

ومن الطريف أن الامام النحوي ـ الخليل بن احمد ـ رحمه الله تعالى عاد بعض تلامذته ، فَسُرّ التلميذ بزيارة شيخه له ، واستقبله قائلاً :

(ان زُرْتَنا فبفضلك، وإن زُرناكَ فلفضلك، فلك الفضلُ زائراً ومَزوراً، وأنشد :

يانسيمَ الروض في السَّحَر	ومِثالَ الشمس والقمر
إن مـن أسهـرت مُقْلَتَه	لقَريرُ العينِ بالسَّهَرِ[3]

وجاء في كتاب مناقب «الامام أحمد بن حنبل » أن أبا بكر المروزي قال: (قال لي أبو عبد الله . وذكر رجلاً فقيراً مريضاً فقال لي : اذهب اليه وقل له أي شيء تشتهي حتى نعمل لك ؟ ودفع إلى طيبا . وقال لي : طيبه!)[4]

---

(١) البخاري (رقم / ١٩٤ و ٤٥٧٧ و ٥٦٥١ و٥٦٦٤ و ٥٦٧٦ و٦٧٢٣) وأبو داود (رقم ٣٠٩٦)

(٢) طبقات الحفاظ ـ للذهبي (٢ : ٨٠٨)

(٣) البصائر والذخائر (١ : ٧٤) .

(٤) المناقب (٣٧٢) .

قضاء الحوائج وتفقد الإخوان

(ولم أرَ كالمعروف أما مذاقه
فحلو ، وأما وجهه فجميل)[1]

وهو باب واسع يشمل كل الامور المعنوية والحسية التي ندب إليها الاسلام لتقوية الروابط الأخوية وتنمية العلاقات البشرية بين الناس، وكل ما من شأنه تحقيق هذا الامر والمساعدة عليه، ولهذا جاءت الآيات والاحاديث تترى للحث والترغيب على فعله واصطناعه.

مثل قوله ﷺ : (أحب الناس الى الله تعالى أنفعهم للناس ، وأحب الاعمال الى الله عز وجل سرور يدخله على المسلم، أو يكشف عنه كربة ، أو يقضي عنه ديناً، أو يطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب الى من ان اعتكف في هذا المسجد ـ مسجد المدينة ـ شهراً، ومن كفَّ غضبه سترَ الله عورته ، ومن كظم غيظه، ولو شاء أن يمضيه أمضاه ، ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الاقدام. وان سوء الخلق يفسد العمل ، كما يفسد الخل العسل)[2]

---

(١) الآداب الشرعية (١ / ٣٤٩)

(٢) الاحاديث الصحيحة (رقم الحديث ٩٠٦)

بـل ان النبي ﷺ - بين ان بـذل المعروف من شيمة المجتمع المسلم الايماني وواجباته التي يجب أن يضطلع بها نحو مواطنيه .

فعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قـال قـال : رسول الله ﷺ :(من كان معـه فضل ظهر فليعـد بـه على من لا ظهر لـه، ومن كان لـه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له . قال أبو سعيد : فذكر رسول الله ﷺ - أصنافاً من المال حتى رأينا أنه لاحق لأحد منا في فضل) [١]

ومنه قوله - ﷺ - وهو يحكي قصـة لأصحابه في رجل ادخلتـه صنائع المعروف مما نحتقر ولا نلقي له بالاً الجنة فقال :

(حوسبَ رجـل ممن كان قبلكم ، فلم يـوجـد لـه من الخير شيء ، الاّ أنـه كان رجلا يخالط الناس ، وكان مُوسراً ، فكان يأمر غلمانه أن يتجـاوزوا عن المعسر . قال الله عز وجل : فنحن أحقُّ بذلك منه فتجاوزوا عنه) [٢]

ومن هـذا الحـديث يتضـح السر في اعتبـار العلمـاء . أن المبـاحـات اذا احتسبت وأُريد بها وجـه الله تحولت الى طـاعـة وقربـة وكانت من ضمن زاد الآخرة قال الامام - ابن تيمية رحمـه الله تعـالى : (وكل مـا يستعـان بـه على الطاعة فهو طاعة وان كان من جنس المباح) [٣]

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ :

(من نفّس عن مؤمن كربـة من كرب الـدنيـا نفّس الله عنـه كربـة من كرب يوم القيامة، ومن يَسر على مُعْسِر نَسّرَ الله عليه في الـدنيـا والآخرة ، ومن ستر مسلمـاً ستره الله في الـدنيـا والآخرة ، والله في عـون العبـد مـا كان العبـد في عون أخيـه ، ومن سلـك طريقـاً يلتمس بـه علمـاً سهل الله لـه بـه طريقـاً الى الجنـة، ومـا اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلـون كتـاب الله تعـالى، ويتـدارسـونـه بينهم، إلاّ نـزلت عليهم السكينـة، وغشيتهم الرحمـة،

---

(١) مسلم (رقم / ١٧٢٨)

(٢) مسلم (رقم ١٥٦٠ و١٥٦١ و١٥٦٢) واحمد (٤ / ١١٨ و١٢٠)

(٣) الفتاوي : (١٠ / ٣١)

وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يُسرع به نسبُه) [1]

كيف لا وصنع المعروف اذا جاء في الوقت المناسب قلب الموقف رأساً على عقب وبدّل الحال الى غير الحال ، ويذكر لنا الاستاذ سيد قطب - عليه رحمة الله وبركاته، عن فاعل خير ذي نفس طيبة تتحسس حاجات الناس وتأسو جراحهم ، قلبت حياته وكانت هذه البادرة من هذه النفس الطيبة اول خطواته على الطريق الصحيح ، فيقول : (حين غادرت مصر تركت اخوتي في البيت دون ما يكفي لأن يسد حاجتهم من المال، وفوجئت وأنا في أمريكا - بإرسال مبلغ من المال إليّ. وساورتني الهموم ، من أين يأتي أخوتي بهذا المال ؟ وجاءني الرد سريعاً بأن مسودة - العدالة الاجتماعية في الاسلام - وهو الكتاب الذي صدر بعد ذلك، عرضت على الامام البنا - وكان رأيه أن تطبع فوراً وأن يرصد دخلها للعائلة . وكنت لم احظَ بصحبة الاستاذ - البنا - فأكبرت هذه البادرة ، وهذه النفس الطيبة التي تتحسس حاجات الناس وتأسو جراحهم) [2]

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه : (ما رأيت رجلاً أوليته معروفاً إلاّ أضاء ما بينه وبيني ، ولا رأيت رجلا فرط إليه مني شيء إلاّ أظلم ما بيني وبينه) [3]

وقالوا : (صاحب المعروف لا يقع ، فاذا وقع أصاب متكأً) [4]

وهكذا أجمع على تحسين فعل المعروف والثناء على صاحبه شرعاً وعقلاً ، وعرفاً وذوقاً .

واليك أيها القارىء الكريم نماذج من فعل المعروف عند السلف الصالح رضوان الله عليهم جميعاً .

---

(1) اخرجه مسلم (٢٦٩٩) وأبو داود (٤٩٤٦)

(2) الشهاب السنة السادسة أيلول ١٩٧٢ العدد ٩ ص ٨) .

(3) الآداب الشرعية (١ / ٣٤٨)

(4) الآداب الشرعية (١ / ٣٥٠)

قال عبد الله بن عثمان ـ شيخ البخاري : (ما سألني أحد حاجة إلاّ قمت له بنفسي ، فان تم وإلا قمت له بمالي ، فإن تم وإلاّ استعنا له بالاخوان ، فإن تم وإلاّ استعنت له بالسلطان)[1]

ودخل على بن الحسين زين العابدين على محمد بن أسامة بن زيد يعوده فبكى ابن اسامة ، فقال له : ما يبكيك ؟ قال : عليّ دين. قال : وكم هو ؟ قال : خمسة عشر الف دينار ـ وفي رواية سبعة عشر الف دينار ـ فقال : هي عَلَيّ)[2]

وهذا هو المفهوم الحقيقي لمعنى الحب في الله عند السلف الصالح ، ترى الرجل منهم لا يلقى اخاه ربما الشهر والشهرين ، فاذا سأله شطر ماله اعطاه وواساه وبذل وبذل وهو يشعر بأن الذي أخذ منه أحب اليه مما بقى ، واما اليوم فاختلف مفهوم الحب في الله واخوة الاسلام ، ترى الرجل من المسلمين اذا لم يلق اخاه يوماً واحداً سأله حتى عن الدجاجة في البيت ، ولو سأله حبة من ماله لمنعه ، ومنعه ، ومنعه ، !

ان من حقوق الاخوان عليك ان تقضي عنه دينه، تفك حاجته ، ترفع فقره وعوزه وان كان في المشرق وأنت في المغرب وبهذا تكون أخاه ويكون اخاك ، قال محمد بن خالد قلت لابي سلمان الداراني : (يكون الرجل بافريقية والآخر بسمرقند . وهما أخوان ؟ قال : نعم ! قلت : وكيف ذلك؟ قال : تكون نيته متى لقيه واساه ، فاذا كانت نيته كذلك فهو أخوه !)[3]
وهو الذي يقول ايضاً : (إني لألقم اللقمة أخا من أخواني فأجد طعمها في حلقي) وما أجمل تعبير القرآن (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ

(١) الآداب الشرعية (٢ /١٨٧)
(٢) البداية والنهاية (٩ / ١٠٥)
(٣) حلية الاولياء (٩ / ٢٧٤)

وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ) [1] ومن احق من تمثل ذلك رسول الله - ﷺ - فقد كان يبيت طاويا الثلاثة الأيام المتوالية، ولو شاء لشبع، ولكنه كان يؤثر على نفسه، فكان أولى الناس بالناس، يقضي حاجتهم ويسد خلتهم، يسأل عن كبيرهم، ويعطف على صغيرهم.

ومن صور الايثار ما حكاه الذهبي - في ميزان الاعتدال، قال، قال الهيثم بن جميل - : (جاء فضيل بن مرزوق - وكان من ائمة الهدى زهداً وفضلاً - الى - الحسن بن حي - فأخبره أنه ليس عنده شيء، فقام الحسن - فأخرج ستة دراهم، وأخبره أنه ليس عنده غيرها، فقال: سبحان الله اليس عندك غيرها وأنا آخذها، فأخذ ثلاثة وترك ثلاثة !) [2]

وانها والله لحقيقة، وما اكثر تعدد صورها في تاريخنا الاسلامي، بل ما اكثر تكررها، لو أنا عرفنا حقيقة معنى التجرد الذي يحدث للمسلم عند استقرار معنى الايمان في قلبه لوضحت صورة الايثار بالضروريات عند السلف الصالح التي لا يخلو منها جيل من اجيال هذه الامة الخيرة. إن التجرد عند المسلم يعني القدرة على مجابهة ثقل الاغراءات، والانفلات من عبودية المادة، والخضوع لضرورياتها ومتطلباتها، بحيث تخرج من نفسه وقلبه لتكون في يده سهلة المنال والبذل لكل احد، وهذا هو معنى التجرد ببساطة وبدون تعقيد وتقعر في العلم. ولهذا يقول الامام احمد بن حنبل (لو أن الدنيا جُمعت حتى تكون في مقدار لقمة، ثم أخذها امرؤ مسلم. فوضعها في فم اخيه المسلم، لما كان مسرفاً) [3]

ومن صور المواساة بالمال ما حكاه القاضي عياض في تاريخه عن الامام سحنون المالكي وتلميذه المتعفف سعيد بن عباد فقال، قال أبو العرب: ان سحنون خلا يوماً بتلميذه - سعيد بن عباد، فقال له: ألست بإمامك؟

---

(١) البقرة (٢٠٧)

(٢) ميزان الاعتدال - للذهبي (٢/ ٣٦٢)

(٣) طبقات الحنابلة (١٠٦/١)

قال : نعم . قال : وتقبل قولي ؟ فقال نعم ، لو لم اقبله لم اختلف اليك. فقال له : هذا قولي، ويميني، فحلف بالله وأراه صرة في يده ، ذكر أن فيها ثلاثين ديناراً . وقال له : ما هي من سلطان ، ولا من تجارة، ولا وصية، وما هي إلاّ من ثمرة شجرة غرستها بيدي ، فخذها تتقوى بها على أمر دينك ودنياك .

فقال : أنا غني عنها ، وكان مفرط الحاجة الى ما دونها، فقال سحنون :- خذها سلفاً ، فتزوج منها ، وتنفق منها فان رزقك الله ردها ، أقبلها منك ، فإن تعذر ردها فأنت منها في حل . فقال : ما كنت بالذي آخذ ديناً في ذمتي من غير حاجة . فقال سحنون : فاذا أبيت فلا تذكره لأحد ما دُمت حياً !)[1]

وجاء ايضاً في - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي - : (أن فتحاً المَوصلي - جاء الى منزل صديق له يقال له - عيسى التمار - فلم يجده في المنزل فقال للخادم : أخرجى اليّ كيس أخي ، فأخرجته ففتحه ، فأخذ منه درهمين ، وجاء عيسى إلى منزله فأخبرته الخادمة بمجيء فتح وأخذه الدرهمين ، فقال : إن كنت صادقة فأنت حرة لوجه الله، فنظر فإذا هي صادقة، فعتقت !)[2]

ومن الطريف ان أحد الاخوة عندما سمع هذه الحادثة قال : (أنا استطيع ان افعل مثل هذا ، واي انسان يأتيني لمثل هذه سيكون ما أخذه احب إليّ مما بقى وترك) . وعندها علمت ان السر في التوافق في الأقوال ، والمشاكلة في الفعل والسلوك بين المسلمين لا يحجب ذلك اختلاف الزمان ولا المكان ولا البيئات انهم يصدرون عن مشكاة واحدة ، وانها قدرة المنهج الرباني الذي لا ينضب معينه ، ولا ينتهي عطاؤه، إلى آخر الزمان .

---

(١) ترتيب المدارك (٣/ ١٢٦)
(٢) تاريخ بغداد (٢ / ٢٢٧)

وكذلك جاء في ترجمة الامام محمد بن ميمون أبي حمزة السكري المتوفى سنة ١٦٨ هـ ، (أن جاراً لأبي حمزة السكري أراد أن يبيع داره ، فقيل له : بكم ؟ قال : بألفين ثمن الدار ، والفين جوار ابي حمزة فبلغ ذلك أبا حمزة فوجّه اليه بأربعة آلاف ، وقال : خُذ هذه ولا تبع دارك !)[١]

فاللهم اجعلنا من عبيدك الذين تسد بهم الثغور ، وتقضي على أيديهم الحاجات .. آمين .

(١) تاريخ بغداد (٣ / ٢٦٨)

حُسن الظن - وقبول الظاهر

(لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله في هتك أعراض منتقصيهم معلومة ، ومن وقع فيهم بالثلب ، ابتلاه الله قبل موته بموت القلب)[1]

فالظن من اكبر العقبات التي تحول بين ترابط المسلمين فيما بينهم ، فإياك واياه ، فانه لا يحل استعماله في الدين ، وذلك بقولك أظن كذا ، واعتقد كذا، وتدع المحكم من المنقول والصريح لما تشابه عندك ، فهذا شأن كل مبطل ، والاحرى بك أن تكون وقافاً عند الشبهات ، ولا تظن بكلمة خرجت من في أخيك المسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً تقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[2])

فلا بد من العمل على صيانة عرض المسلم غاية الصيانة من الظن المجرد عن الدليل والذي ليس مبنياً على أصل ولا تحقيق نظر ، لذا أمر سبحانه وتعالى بالتثبت والتريث في قبول الاخبار فقال : (﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[3])

وايضاً عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ - قال : (إياكم والظن ،

---

(١) الرد الوافر - لابن ناصر (١٩٧)

(٢) الحجرات (١٢)

(٣) الحجرات (٦)

فإن الظن أكذبُ الحديث ، ولا تجسّسوا ، ولا تحسّسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخواناً)[1]

ويقول النبي - ﷺ - : (بئس مطية الرجل زعموا)[2]

ومن مناقب الامام القدوة محمد بن ادريس الشافعي ما قاله احد تلامذته عنه الربيع بن سليمان ، قال : (دخلتُ على الشافعي وهو مريضٌ فقلتُ له : قوّى اللهُ ضعفك ، فقال : لو قوّى ضعفي قتلني . فقلت: والله ما أردتُ إلاّ الخير ، قال : أعلم أنك لو شتمتني لم تُرد الاّ الخير !)[3]

وكذلك ما روى عن الامام الجوال ميمون بن مهران حينما قال له احد الطفيليين : (إن فلانا يستبطىء نفسه في زيارتك ، قال : اذا ثبتت المودة في القلوب فلا بأس وإن طال المكث !)[4] وهذه هي الروح المطلوبة ممن أسلم وجهه الى الله وقال انني من المسلمين ، اذا بلغه عن أخيه شيء يكرهه التمس له عذراً جهده ، فإن لم يجد له عذراً قال : لعل لأخي عذراً لا أعلمه ، أو لا يستطيع أخي أن يصرح به، فليس كل أحد يستطيع أن يقول بعذره ، فإن المؤمن اذا وثق بأخيه المؤمن فإنه لا يضره منه شيء أبدا . واليك هذه الصورة المشرقة من تاريخنا المجيد على سلامة قلوب سلفنا الصالح وطهارة نفوسهم وضمائرهم فقد ارسل الشيخ ابن تيمية رسالة وجهها الى طلبته وتلامذته يلومهم على ايذاء من كان سبباً في محنته ودخوله الى السجن فيقول :

وأول ما أبدأ به من هذا الأصل : ما يتعلق بي ، فتعلمون - رضي الله عنكم - أني لا أحب أن يؤذي أحد من عموم المسلمين - فضلا عن اصحابنا - بشيء أصلا ، لاباطنا ولا ظاهراً ، ولا عندي عتب على احد منهم . ولا لوم

---

(١) البخاري (رقم / ٦٠٦٦) ومسلم (رقم / ٢٥٦٣)

(٢) لاحاديث الصحيحة (رقم / ٨٦٦)

(٣) آداب الشافعي ومناقبة - للرازي (٢٧٤)

(٤) البداية والنهاية (٩ / ٣١٧)

أصلا ، بل لهم عندي من الكرامة ، والاجلال والمحبة ، والتعظيم أضعاف أضعاف ما كان ، كل بحسبه ، ولا يخلو الرجل . اما ان يكون مجتهداً مصيباً ، او مخطئاً ، أو مذنباً . فالأول : مأجور مشكور . والثاني مع أجره على الاجتهاد : فمعفو عنه ، مغفور له . والثالث : فالله يغفر لنا وله ، ولسائر المؤمنين .

فنطوي بساط الكلام المخالف لهذا الأصل .

كقول القائل : فلان قصر ، فلان ما عمل ، فلان أوذى الشيخ بسببه ، فلان كان سبب هذه القضية ، فلان كان يتكلم في كيد فلان . ونحو هذه الكلمات ، التي فيها مذمة لبعض الأصحاب ، والاخوان . فاني لا أسامح من آذاهم من هذا الباب . ولا حول ولا قوة الا بالله .

بل مثل هذا يعود على قائله بالملام ، إلا ان يكون له من حسنة وممن يغفر الله له إن شاء . وقد عفا الله عما سلف .

وتعلمون ايضاً : ان ما يجري من نوع تغليظ ، أو تخشين على بعض الأصحاب والاخوان : مما كان يجري بدمشق، ومما جرى الآن بمصر ، فليس ذلك غضاضة ولا نقصاً في حق صاحبه ، ولا حصل بسبب ذلك تغير منا ، ولا بغض . بل هو بعد ما عومل به من التغليظ والتخشين ، أرفع قدراً ، وأنبه ذكراً ، وأحب وأعظم ، وإنما هذه الأمور هي من مصالح المؤمنين ، التي يصلح الله بها بعضهم ببعض ، فان المؤمن للمؤمن كاليدين ، تغسل إحداهما الأخرى . وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوع من الخشونة ، لكن ذلك يوجب من النظافة ، والنعومة ، ما نحمد معه ذلك التخشين .

وتعلمون : أنا جميعا ، متعاونون على البر والتقوى ، واجب علينا نصر بعضنا بعضا ، أعظم مما كان ، وأشد . فمن رام ان يؤذي بعض الأصحاب ، او الاخوان ، لما قد يظنه من نوع تخشين ـ عومل به بدمشق ، أو بمصر الساعة ، أو غير ذلك ـ فهو الغالط .

وكذلك ، من ظن أن المؤمنين يبخلون عما أمروا به من التعاون

والتناصر ، فقد ظن ظنَّ سوء (وان الظن لا يغني من الحق شيئاً) وما غاب عنا احد من الجماعة ، او قدم الينا الساعة ، أو قبل الساعة ، إلا ومنزلته عندنا اليوم أعظم مما كانت ، وأجل ، وأرفع .

وتعلمون - رضي الله عنكم - أن ما دون هذه القضية من الحوادث يقع فيها من اجتهاد الآراء ، واختلاف الأهواء ، وتنوع أحوال أهل الايمان ، وما لا بد منه - من نزغات الشيطان - مالا يتصور أن يعرى عنه نوع الانسان . وقد قال تعالى : (وحملها الانسان إنه كان ظلوماً جهولا ، ليعذب الله المنافقين والمنافقات ، والمشركين والمشركات ، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات . وكان الله غفوراً رحيما) بل انا أقول ما هو أبلغ من ذلك - تنبيهاً بالأدنى على الأعلى ، وبالأقصى على الأدنى - فأقول :

تعلمون كثرة ما وقع في هذه القضية من الأكاذيب المفتراة والأغاليط المظنونة ، والأهواء الفاسدة ، وأن ذلك أمر يجل عن الوصف . وكل ما قيل من كذب وزور ، فهو في حقنا خير ونعمة . قال تعالى : (ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم ، بل هو خير لكم . لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم ، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) .

وقد أظهر الله من نور الحق وبرهانه ، ما رَدَّ به إفك الكاذب وبهتانه .

فلا أحب ان يُنتصر من احد بسبب كذبه علي ، او ظلمه وعدوانه ، فاني قد أحللت كل مسلم . وأنا أحب الخير لكل المسلمين ، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي .

والذين كذبوا وظلموا فهم في حل من جهتي .

وأما ما يتعلق بحقوق الله ، فان تابوا تاب الله عليهم ، والا فحكم الله نافذ فيهم ، فلو كان الرجل مشكوراً على سوء عمله ، لكنت أشكر كل من كان سبباً في هذه القضية ، لما يترتب عليه من خير الدنيا والآخرة ، لكن الله هو المشكور على حسن نعمة وآلائه ، وأياديه التي لا يقضى للمؤمن قضاء الا كان خيراً له .

وأهل القصد الصالح يشكرون على قصدهم ، وأهل العمل الصالح يشكرون على عملهم ، وأهل السيئات نسأل الله أن يتوب عليهم . وأنتم تعلمون هذا من خلقي . والأمر أزيد مما كان وأوكد ، لكن حقوق الناس بعضهم مع بعض ، وحقوق الله عليهم ، هم فيها تحت حكم الله .

وأنتم تعلمون ان الصدّيق الأكبر في قضية الافك ، التي أنزل الله فيها القرآن ، حلف لا يصل مسطح بن اثاثة ، لأنه كان من الخائضين في الافك . فأنزل الله تعالى : (ولا يأتلِ أولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون ان يغفر الله لكم ؟ والله غفور رحيم) فلما نزلت قال ابو بكر : بلى ، والله إني لأحب ان يغفر الله لي ، فأعاد الى مسطح النفقة التي كان ينفق .

ومع ما ذكر من العفو والاحسان ، وأمثاله واضعافه ، والجهاد على ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة امر لا بد منه (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، اعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم . انما وليكم الله ورسوله . والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، وهم راكعون . ومن يَتَولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما)[1]

فسبحانه الناشر على الخاطئين جناح ستره ، والكاشف الضر بيده التي بالعدل عاقبت ، والمجيب الدعاء برحمته، التي بالتوفيق انطقت ، والمنعم قبل الاستحقاق بنعمته ، سبحانه ، سبحانه ،كم سيئة قد اخفاها حلمه حتى دخلت في عفوه ، وحسنة ضاعفها فضله حتى عظمت عليها مجازاته، ورحم الله عبداً وقف على سهو أو خطأ من أخيه فاصلحه عاذراً لا عاذلا ، ومنيلا لا نائلا فليس المبرّأ من الخطأ إلاّ من وقى الله سبحانه وتعالى وعصم ، فلا إله إلاّ الله ولا معبود بحق سواه .

---

١) مجموعة الفتاوي ـ لابن تيمية (٢٨ / ٥٢ ـ ٥٧)

الإغضاء وعدم الاستقصاء

(من سمع كلمة يكرهها فسكت انقطع عنه ما يكره ، فإن أجاب سمع اكثر مما يكره)[1]

قال رسول الله ﷺ : (اتق الله عز وجل ، ولا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في اناء المستسقي ، واياك والمخيلة ، فإن الله تبارك وتعالى لا يحب المخيلة ، وإن امرؤ شتمك وعيرك بأمر يعلمه فيك ، فلا تعيره بأمر تعلمه فيه ، فيكون لك أجره ، وعليه إثمه، ولا تشتمن أحداً)[2]

وقال ـ ﷺ :

(أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلاّ الحدود)[3]

قال الشافعي رحمه الله في تعريف ـ ذوي الهيئات ـ : (انهم الذين ليسوا يعرفون بالشر ، فيزل احدهم الزلة)[4]

وعن عبد الرحمن بن عمر الاصبهاني قال :

كنا في مجلس عبد الرحمن بن مهدي . اذ دخل عليه شاب فما زال يدنيه حتى أجلسه الى جنبه ، قال : فقام شيخ من المجلس فقال :

---

(١) وفيات الاعيان (٢ / ٤٦٠)

(٢) الاحاديث الصحيحة (رقم الحديث ٧٧٠)

(٣ ـ ٤) الاحاديث الصحيحة (رقم الحديث ٦٣٨)

يا ابا سعيد ان هذا الشاب يتكلم فيك حتى انه ليكذبك ، فقال عبد الرحمن : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. قال تعالى «ادفع بالتي هي احسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلقاها الاّ الذين صبروا وما يلقاها الاّ ذو حظ عظيم » ثم قال عبد الرحمن حدثني أبو عبيدة الناجي قال : كنا في مجلس الحسن البصري اذ قام اليه رجل فقال : يا أبا سعيد : ان ههنا قوماً يحضرون مجلسك ليتتبعوا سِقط كلامك ، فقال الحسن : يا هذا اني اطمعت نفسي في جوار الله فطمعت ، وأطمعت نفسي في الحور العين فطمعت ، وأطمعت نفسي في السلامة من الناس فلم تطمع ، اني لما رأيت الناس لا يرضون عن خالقهم علمت انهم لا يرضون عن مخلوق مثلهم !)[1]

وعن الامام الثقة ـ سعيد بن عبد العزيز ـ قال : (إن رفيقاً لحبيب ابن مسلمة ضاق يوماً في شيء ، فقال له حبيب : إن استطعت إن تغير خلقك بأحسن منه فافعل ، وإلاّ فسيسعك من اخلاقنا ما ضاق عنا من خُلقك !)[2]

☆ انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم :

قال محمد بن محبوب (كنا عند عبد الله بن طالب التميمي المالكي يوماً ، فخاطبه بعض أهل مجلسه بخطاب خشن ، لم يُخاطب مثله بمثله فنظر بعضهم الى بعض ، وتمادى ابن طالب في مكالمته كأنه ما سمع مكروهاً . فلما قام الرجل ، قال لنا ابن طالب : رأيت نظر بعضكم الى بعض ، وقلت في نفسي : رجل قصدني يؤدي الذي يجب من حقي هنا عليّ ، أصول عليه بسلطاني ؟ هذا من اللؤم !)[3]

ـ لا معارك مع الاخوان :

وقال ابن مراد (تكلم عبد الله بن عياش المنتوف بكلام أراد به

---

(١) تبين كذب المفتري لابن عساكر (٤٢٢)

(٢) تهذيب تاريخ دمشق (١ / ٤١٢)

(٣) ترتيب المدارك (٢ / ٢٠٤)

مساءة عمر بن ذر فقام « عمر » فدخل منزله وكان ابن عمه فندم ابن عياش فأتى عمر فقال : أيدخل الظالم ؟ فقال : نعم ، مغفور له ، والله ما كافأت من عصى الله فيك ، بمثل أن تطيع الله فيه !) [1]

ومما جاء من الشعر في الاغضاء عن زلة الصاحب قول الشاعر :

(ولي صاحب فالموت يوم فراقه
تغير والايام جم عجيبها !
أريد له هجرا لبعض خلاله
فتعطفني أخرى له فأجيبها) [2]

وقال آخر في خفض الجناح :

(أخ لي كأيام الحياة اخاؤه
تَلَوَّنُ ألوانا كثيرا خطوبها
إذا عبت منه خلة فهجرته
دعتني إليه خَلَّةٌ لا أعيبها) [3]

وقال عبد الله بن معاوية :

لا يزهّدنك في أخٍ   لك ان تراه زلّ زلّة..
ما من أخٍ لك لا يُعاب   ولو حرصت الحرص كُلّه [4]

ويقول الجاحظ في الترفق بالصاحب واحتماله :

.. فلا تكونن لشيءٍ مّا في يدك أشد ضَنا، ولا عليه أشد حَدبا ، منك بالأخ الذي قد بلوته في السّراء والضّراء ، فعرفت مذاهبه ، وخبرت شيمه ، وصح لك غيبه ، وسلمت لك ناحيته ، فانما هو شقيقُ روحك ، وباب

---

(١) تاريخ بغداد (١٠ / ١٥)

(٢) بهجة المجالس (٢ / ٦٦٦)

(٣) بهجة المجالس (٢ / ٦٦٦)

(٤) الصداقة والصديق (١٤٠)

الروح الى حياتك ، ومُستمد رأيك وتوأم عقلك .

فإذا صفا لك أخٌ فكن به أشد ضنا منك بنفائس أموالك ، ثمّ لا يزهدنُك فيه أن ترى منه خُلقاً أو خُلقين تكرههما ، فإنّ نفسك التي هي أخصُ النفوس بك لا تُعطيك المقادة في كلّ ما تريد، فكيف بنفس غيرك !

وبحسبك أن يكون لك من أخيك أكثرهُ ، وقد قال أكثم بن صيفي : «من لكَ بأخيك كلّه » ، وقال النابغة الذبياني:[1]

(ولست بمستبقٍ أخا لا تلمه   على شعث أي الرجال المهذب)

وجاء عن رجاء بن حيوة وزير « عمر بن عبد العزيز » أنه قال :

من لم يؤاخ من الاخوان إلاّ من لا عيب فيه ، قلّ صديقه ، ومن لم يرض من صديقه إلاّ باخلاصه له ، دام سخطه ، ومن عاتب اخوانه على كل ذنب كثر عدوه) [2]

وذلك .. (لأنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلاّ وفيه عيب)[3] فما كان حسناً فاهده الى نفسك ، وما كان غير ذلك فألقه ولا تقم له وزناً ، ولا يؤلمنك مساويهم فتنسى محاسنهم ، ومن كانت حسناته اكثر من سيئاته دخل الجنة على ما كان منه ، والذنب الواحد لا يُهجر له الحبيب ، والروضة الحسنى لا تترك لموضع قبر ، والحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين المحسنين .

---

(١) رسائل الجاحظ ، رسالة المعاش والمعاد (١ / ١٢٢)

(٢) تهذيب تاريخ دمشق (٥ / ٢١٧)

(٣) البداية والنهاية (٩ / ١٠٠)

أن تنصحه فيما يصلحه

﴿ وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ③ ﴾[1]

يقول ابن قيم الجوزية :

(وهذا نهاية الكمال ، فان الكمال .. أن يكون الشخص كاملا في نفسه ، مكملا لغيره)[2] وهذه حقيقة النصيحة المأمور بها التي يقول عنها ابن تيمية : (اعظم ما عُبد الله به نصيحة خلقه)[3] أن تقوم اعوجاج نفسك وفي نفس الوقت تقوم أعوجاج الناس على حسب مقياس الذكر الذي هو مقياس كل شيء كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ

والنصيحة والتواصي بها في الاسلام تعتبر من اعظم منجزات هذا الدين العظيم، وهي من اعظم اسباب صلاحه وفلاحه ، لذلك كانت من مضامين بيعة الرسول - ﷺ - المؤمنين في كل زمان ومكان ، بل هي من مقتضيات قول المسلم : (اشهد أن لا اله الا الله، وأن محمداً رسول الله).

---

(١) سورة العصر

(٢) مفتاح دار السعادة - (٥١ : ٨٠)

(٣) الرسالة القبرصية

وقال جرير بن عبد الله البجلي ايضاً : (بايعت رسول الله - ﷺ - على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم)[1]

بل ان النبي - ﷺ - قال : (الدين النصيحة)[2] أي أن النصيحة هي عماد الدين وقوامه والمدار عليها وحدها . وحقيقتها ، أن تقبل الحق ممن قاله وإن كان بغيضا ، وترد الباطل على من قاله وان كان حبيباً . فقبول النصيحة والاستماع اليها لذاتها لا لأجل من قالها أو جاء بها . بل ينبغي على المسلم أن يسعى اليها ويطلبها خاصة من الصالحين الموثوق بدينهم وتقواهم، فهذا عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه يطلب النصيحة من عمرو بن مهاجر فيقول له : (يا عمرو ، اذا رأيتني قد ملت عن الحق ، فضع يدك في تلابيبي ، ثم هزني ، ثم قل لي : ماذا تصنع ؟)[3]

نعم يجب على المسلم أن ينصح أخاه المسلم فيما يصلحه ولا يتركه عرضة للشيطان وهواه وذنبه ينتهبه ويهلكه قال الحسن البصري - سيد التابعين - : (إلى من يشكو المسلم إذا لم يشك لأخيه المسلم ؟ ومن الذي يلزمه من أمره مثل الذي يلزمه ، ان المسلم مرآة أخيه المسلم ، يبصره عيبه ، ويغفر له ذنبه ، قد كان من كان قبلكم من السلف الصالح ، يلقى الرجل الرجل فيقول : يا أخي ما كل ذنوبي أبصر ، ولا كل عيوبي أعرف ، فاذا رأيت خيراً فمرني ، وإذا رأيت شراً فانهني !)[4]

ويقول الصحابي الجليل - عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (اذا رأيتم أخاكم قارف ذنباً فلا تكونوا أعوانا للشيطان عليه ، أن تقولوا اللهم أخزه، اللهم العنه، ولكن سلوا الله العافية، فإنا أصحاب محمد - ﷺ - كنا لا نقول في أحد شيئاً حتى نعلم على ما يموت، فإن ختم له بخير علمنا أو رجونا أن

---

(١) البخاري (رقم / ٥٧) ومسلم (رقم / ٥٥)

(٢) شرح مسلم (رقم / ٥٥)

(٣) تاريخ بغداد (٥ : ٩٨)

(٤) كتاب : الحسن البصري - لابن الجوزي (٣٤ - ٣٥)

يكون قد أصاب خيراً ، وإن ختم له بشر خفنا عليه عمله) فمودة المسلم لاخيه المسلم تأبى أن تسامحه بأن يرى اخاه على شيء من الزلل ثم لا يغيره ولا يصلحه . فالمؤمن باخوانه النصحاء الأُمناء ، كما قال الشاعر :

ما ضاع من كان له صاحب — يقدرُ أن يصلحَ من شانه
فانما الدنيا بسكانها — وانما المرء باخوانه [1]

بل ان الرجل اذا احب الرجل في الله ثم أحدث حدثاً مما يشينه عند ربه تبارك وتعالى ولم يبغض عمله ولم ينصحه فإنه لم يحبه في الله وان قال وقال انه يحبه . بل من اكبر آفات الاخوة أن يرى الأخ اخاه يعمل بالمعاصي من معاصي الله سبحانه وتعالى فلا يغير عليه ، ويلقاه بوجه طلق!. فرحم الله الشيخ عبد القادر الجيلاني حين يقول : (سبحان من القى في قلبي نصح الخلق ، وجعله أكبر همي .. فرحي بفلاحكم ، وغمي لهلاككم) [2]

وهكذا الدول والافراد ، تتآكل بالتدريج ما لم تبحث عن شملها المبعثر، وكذلك حين يبحث كل عضو منا عن نفسه وينشغل بخاصة نفسه عن ارتباطه بالآخرين تسقط سائر الاعضاء ثم لا يبالي الله تبارك وتعالى في أي وادٍ هلكوا .

وعن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : (قال لي بلال بن سعد بلغني أن المؤمن مرآة أخيه ، فهل تستريب من امري شيئاً) [3] وبهذا جرت السنة وسيرة السلف الصالحين متواترة في السعي لطلب النصيحة والسعادة بها فسعدوا وسعدت مجتمعاتهم بها ، وكان الرجل منهم يقول وهو سعيد : (رحم الله من أهدى اليَّ عيوبي) [4] لا يجردُ ولا يُبرىء نفسه، ولا يكن معجباً بنفسه بل يعترف وهذه علامة المخلص اذا عوتب في نفسه وفي عمله . فالمسلم

---

(١) طبقات المفسرين ـ للداودي (١ / ٤٣٣)
(٢) الفتح الرباني (٢٢)
(٣) تاريخ داريا ، للقاضي عبد الجبار الخولاني (٧٧)
(٤) سير اعلام النبلاء (٧ : ٣٩٣)

اخو المسلم ، والنصيحة لا تنقص احـدهم عنـد الآخر شيئـاً بل تزيـده وتنميـه وتطوره ، ولهذا يقول الامام بلال بن سعد :

(أخ لك كلما لقيك ذكرك بنصيبك من الله، وأخبرك بعيب فيك أحب اليـك، وخير لـك من أخ كلما لقيــك ، وضـع في كفـك دينــاراً)[1] فمن سعادتك أن تلقاها اذا تطايرت الكتب يوم القيامة كانوا حسنـات مثبتـة في صحيفتـك وكتـابـك. ومن ادب التـواصي والنصيحـة ـ هـداك الله ـ (أن لا تغضب على أخيك، اذا نصح لك في جليلـك ودقيقـك، بل الاجـدر بـك أن تتقبل ما يقوله، وتبدي البشاشة في وجهـه ، وتشكره عليـه حتى يزيـدك في كل حالٍ ما يحملك)[2] وايضاً عليك بالصبر في استماع النصيحة اذا جاءتـك من اسلوب خشن ، يقـول الشيـخ عبـد القـادر الجيـلاني : (لا تهربـوا من خشونة كلامي ، فما ربـاني إلاّ الخشن في دين الله عز وجل ، ومن هرب مني ومن امثالي .. لا يفلح !)[3] اقبل نصح اخيك المؤمن ، ولا تخالفه ، فـإنـه يرى لك مالا ترى أنت لنفسك من نفسك ، فنعم الهدية هي تهديها لأخيـك من كلام الحكمة والايمان .

كذلك أن تشجع الناصح الأمين في نصحـه بحسن الاستماع والانصـات ولو انـك نزيـه، فهـذا أمير المؤمنين في الحـديث ـ سيفـان الثوري ـ يخطو بـك خطوة نحو ادب الاستماع والانصات فيقول :

(إن الرجل ليحدثني بالحديث قد سمعته أنا قبل أن تلده أُمه فيحملني حُسن الادب أن اسمعه منه)[4]

وعليـك أيضـاً أن تخلـو بـه وتسـارّه في اذنــه بعيــداً عن أعين المتطفلين الشـامتين، وعلى سبيل الرحمة لا التـوبيـخ والتقريـع، مراعيـاً لقلب أخيـك ونفسيته مترفقاً بحاله ومعنوياته بما يصلحه ويرفعه .

---

(١) البداية والنهاية (٩ / ٣٤٨)

(٢) الصداقة والصديق (١٦٣)

(٣) الفتح الرباني (٢٢)

(٤) تاريخ دمشق : (٤٠٩/١)

يقول إمام الدنيا في زمانه ـ محمد ابن ادريس الشافعي ـ عليه رحمة الله وبركاته :

تعمّدني بنصحك في انفرادي　　　وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع　　　من التوبيخ لا أرضى استماعه
وإن خالفتني وعصيت قولي　　　فلا تجزع اذا لم تعط طاعه[1]

فاللهم فقّهنا في دينك وشرعك وحبب الينا الايمان وزينه في قلوبنا وكره الينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من عبادك الراشدين .. آمين .

---

(١) ديوان الشافعي : (٥٦)

الفصل الثاني

الخلاف .. مظاهر وأسباب

اسباب الخلاف

(لو كان للفراق صورة لارتاعت لها القلوب وهُدّت الجبال)[1]

أولاً .. بطر الحقّ وغمط الناس :

فعن ابن مسعود ، قال ، قال رسول الله - ﷺ : (لا يدخلُ الجنَّةَ من كان في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من كبرٍ ، فقال رجلٌ : إنّ الرجلَ يُحبُّ أنْ يكونَ ثوبُه حَسناً ونعلهُ حسنة ، قال : انّ الله تعالى جميلٌ يحبُّ الجمال .. الكبْرُ بطرُ الحقّ وغمط الناس)[2]

ثانياً .. اختلاف وجهات النظر :

وهذا ليس بعيب ، فان المجتهد تارة يخطىء وتارة يصيب ، وهو مثاب على اجتهاده ، وإن كان مخطئاً .. (وقد أجمع العلماء على أن فروع الشريعة ، المخطىء فيها مجتهد يُثاب لا يكفر ولا يفسق)[3] والذي عليك والحالة هذه ، إنما هو التفاهم في دين الله ، فعليك أن تتقدم بالنصيحة مشكوراً، وتسوق الرأي الحق مأجوراً ، وقد أوجب الله على المسلم أن ينزل

---

(١) الوافي بالوفيات (٤ / ٢٧٥)

(٢) رواه مسلم (رقم / ١٤٧)

(٣) الرد الوافر - لابن ناصر (١٥٤)

عند الحق وإن جاءه على يد أصغر اخوانه ، بل إن رآه عند الاجنبي ، والحكمة ضالة المؤمن ، فأنى وجدها فهو أحق الناس بها . فالنصيحة في الله سبحانه من اقوى اسباب الحب والود بين المسلمين ، إذا سيقت بإطار العاطفة النبيلة والروح الاخوية ، ولا يذهب الود بين الله والناس الى يوم القيامة .

وهاك دليلاً آخر في اختلاف وجهات النظر والفهم عند الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً . فعن ابن عمر ، قال قال رسول الله ﷺ لنا لما رجع من الاحزاب : لا يصلينَّ أحد العصر إلاّ في بني قريظة .

فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي العصر حتى نأتيها : وقال بعضهم : بل نصلي لم يرد منا ذلك ، فذكر ذلك للنبي - ﷺ - فلم يعنف واحداً منهم ![1]

ثالثاً .. الجهل والجهال :

يقول الامام الثقة - سحنون المولود في سنة ١٦٠ هـ : (يكون عند الرجل باب واحد من العلم، فيظن ان الحق كله فيه)[2]

وقال : (أجرأ الناس على الفتيا ، أقلّهم علماً)[3]

رابعاً .. النظرة الجزئية للاسلام :

وذلك من خلال نظرة الناس للاسلام من جوانب معينة وزاوية معينة ، فالاسلام كأنه هرم ضخم بجوانبه الاربع فالذي ينظر اليه من ناحية وتغيب عنه نواحيه الأخرى يظن أن هذا الذي شاهده هو الهرم كله . ولن يظفر بالحقيقة إلاّ إذا اطلع عليه من القمة أو استوعب جوانبه

---

(١) البخاري (رقم / ٩٤٦) واللفظ له ومسلم (رقم / ١٧٧٠) .

(٢) (٣) ترتيب المدارك (٢ / ٦١٥)

الاربعة.. ولهذا يقول الشيخ ابن تيمية : (فإذا تَرَكَ الناس بعض ما أنزل الله - جهلاً أو هوى - وقعت بينهم العداوة والبغضاء ، اذ لم يبق هنا حق جامع يشتركون فيه، بل تقطعوا أمرهم بينهم زبرا ، كل حِزْبٍ بما لديهم فرحون)

خامساً .. التعصب للاشخاص والآراء :

فليتأمل اللبيب الفاضل ماذا يعود اليه نصر المقالات والتعصب لها والتزام لوازمها واحسان الظن بأربابها بحيث يرى مساوئهم محاسن ، واساءة الظن بخصومهم بحيث يرى محاسنهم مساوىء، وهذا مثل من يرى الاشياء على خلاف ما هي عليه .فمبدأ الهدى فتح عين البصيرة في اقوال من يُسيء الظن بهم، ومن يحسن الظن بهم على حد سواء ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[1]

فلا يغتر باسم عظيم كائناً من كان ، وان كان علماؤنا واشياخنا احباء لدينا فالقيام لله بالقسط احبُّ واقرب إلينا .

---

(١) سورة المائدة (٨)

الفصل الثالث

المخرج .. والاستضاءة بأنوار الهداية

﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الانفال : ٤٦)

فعن ابي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله - ﷺ - قال : (إياكم والظنّ ، فإنّ الظنّ أكذبُ الحديث ، ولا تحسّسوا، ولا تجسّسوا، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه، ولا يخذلهُ، ولا يحقرُه، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، ويشير الى صدره - بحَسب امرىءٍ من الشرّ : أن يحقر أخاه المسلمَ ، كلُّ المسلم على المسلم حَرامٌ : دمه، وعرضه، وماله، إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ، ولا إلى صُوَرِكم، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم)[1]

وقال رسول الله ﷺ : (سيصيب أمتي داء الأُمم ، فقالوا : يا رسول الله، وما داء الأمم؟ قال : الأشر والبطر، والتكاثر والتناجش في الدنيا، والتباغض والتحاسد ، حتى يكون البغي)[2]

وعن ابي هريرة ، عن النبي - ﷺ - قال : (والذي نفسي بيده ! لا تدخلوا الجنة حتى تسلموا ، ولا تسلموا حتى تحابوا وافشوا السلام بينكم)

---

(١) البخاري (١٣/٩٢) مسلم (٢٥٦٣)

(٢) اخرجه الحاكم (٤/١٦٨) وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبي ، وقد جوّد اسناده الحافظ العراقي كما ذكر المناوي في فيض القدير (٤/١٢٦)

وإياكم والبغضة ، فإنها هي الحالقة ، لا أقول لكم تحلق الشعر ، ولكن تحلق الذين !) [٣]

وعن ابي الدرداء قال ، قال : رسول الله ﷺ (الا اخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال صلاح ذات البين فان فساد ذات البين هي الحالقة لا اقول هي تحلق الشعر ولكن تحلق الدين) . [٤]

(٣) مسلم (رقم / ٥٤) وابو داود (رقم / ٥١٩٣) والترمذي (رقم / ٢٦٨٨)

(٤) ابو داود (رقم / ٤٩١٩) والترمذي (رقم / ٢٥٠٩) وقال هذا حديث صحيح وهو كا قال وزيادة

انهاء الجدل والمراء حالاً

(لا جماعة لمن اختلف عليه) [1]

فقد روى البخاري وغيره مرفوعاً عن النبي - ﷺ - انه قال : (لا يؤمن العبد الايمان كله حتى يترك الكذب في المزاح ويترك المراء وإن كان صادقاً) ومعروف أن من أخل بشيء من الايمان الواجب عُذب إلاّ من شاء الله تبارك وتعالى وكذلك فهو :

١) يفتن القلب .

٢) يُنبت الضغينة .

٣) يجفي القلب ويقسّيه .

٤) يرقق الورع في المنطق والفعل .

وهذا خالد بن يزيد بن معاوية الأموي يذكر لنا بعض الخسائر التي ينالها المكثر للجدال والمتعمق في المراء فيقول : (اذا كان الرّجلُ مُمارياً لجوجاً مُعجباً برأيه، فقد تمت خسارته) [2]

وما اكثر ضحايا المراء واتعس حالهم فقد شاهدناهم وعرفناهم وما وصلوا اليه من الفراغ الايماني وقلة الصديق وندرة الاخ حتى تركهم المراء بغير صاحب .

---

(١) عيون الاخبار (١ / ١٠٨)

(٢) معجم الادباء (١١ / ٤٠)

وما اجمل قوله الامام « الحسن البصري » عليه رحمة الله تعالى إذ يقول : (إياكم والمراء ، فانها ساعة جهل العالم ، وبها يبتغي الشيطان زلته)[1]

ولهذا فالمؤمن ..

«يداري ولا يماري ، ينشر حكمة الله سبحانه ، فإن قُبلت حمد الله، وان رُدت حمد الله »[2]

فهو في سعة من أمره ، مقصوده القيام لله سبحانه وتعالى بالحق وللحق فقط .

وقال الامام عبد الرحمن بن أبي ليلى : (ما ماريت أخي أبدا ، لأني إن ماريته إما أن أكذبه ، وإما أن أغضبه)[3]

ويحكي لنا خطيب اهل السُنة ـ ابن قتيبة ـ هذه الحادثة وقد مر بها شخصياً في أثر الخصومة على العلاقات الاخوية وتكدير جوها فيقول :

(مر بي بشر بن عبد الله بن أبي بكرة فقال : ما يجلسك هاهنا؟ فقلت : خصومة بيني وبين ابن عم لي ، فقال : إن لأبيك عندي يدا ، واني أريد أن أجزيك بها . واني والله ما رأيت شيئاً أذهب للدين، ولا أنقص للمروءة ، ولا أضيع للذة ، ولا أشغل للقلب من الخصومة . قال فقمت لأنصرف ، فقال لي خصمي : مالك ؟ قلت : لا اخاصمك ، فقال : عرفت أن الحق لي، فقلت : لا ، ولكني أكرم نفسي عن هذا، قال : فاني لا أطلب منك شيئاً هو لك)[4] .

فيجب انهاء المراء حالاً، لا لأن الكتب نطقت بهذا ، ولكن لأن التجربة اكدت هذا وما زالت تؤكده.

☆ ☆ ☆

---

(١) اخلاق العلماء ـ للآجري (٦٩)

(٢) اخلاق العلماء ـ للآجري (٦٩)

(٣) الاداب الشرعية (١ / ٢١)

(٤) احياء علوم الدين (٢ / ١١٦)

استعمال ادب الخلاف

(لا تقولوا اختلف العلماء في كذا ، بل
قولوا: وسّع العلماء على الأُمة في كذا)[1]

فقد ذكر سبحانه وتعالى بأنه ربما اقتتل المؤمنون وهم مع ذلك مؤمنون لم ينف عنهم الايمان ولم يفسق منهم احداً فقال : (وإن طآئفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما)[2]

وكذلك اقتتل الصحابة واختلفوا ولم ينفِ احدٌ منهم الايمان عن الآخرين بل قال علي بن ابي طالب : (اخواننا بغوا علينا) وقال آخر للذي جاء ينتقص عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : (اذهب مقبوحاً ، أتؤذي محبوبة رسول الله - ﷺ -) فهم إخوة في كتاب الله تبارك وتعالى ، وكانوا كذلك فما بدلوا وما غيروا كما امرهم الله سبحانه وتعالى . واليك صوراً من ادب الخلاف والمختلفين لتكون ادعى للموعظة من الكلام المجرد غير المسند .

فهذا الامام احمد بن حنبل يذكر الامام اسحاق بن راهويه فيقول: (لم يعبر الجسر الى خراسان مثل اسحاق بن راهويه وان كان

(١) مجلة الاصلاح القطرية ـ المقولة (لسفيان الثوري)
(٢) الحجرات (٩)

يخالفنا في اشياء ، فإن الناس لم يزل يُخالف بعضهم بعضاً)[1]

وهذا رافع بن نصر أبو الحسن الفقيه المتوفى في سنة ٤٤٧ هـ : (كان «رافع» هذا له قدم في الزهد وما تفقه ابو اسحاق الشيرازي الشافعي وأبو يعلى ابن الفراء الحنبلي إلاّ بمعاونته لهما ، لانه كان ينفق عليهما ، وكان شافعي المذهب)[2]

فهذا خلاف ليس على مسألة واحدة أو قضية عابرة بل في مذهب كامل ومغاير لمذهبه ومع هذا تعايشوا اخوة في الله تبارك وتعالى ، ولكن للأسف الشديد أن هذا التغاير في المذهب أو الاجتهاد له عمقه وآثاره السيئة على العلاقات الاخوية بين متفقهة هذا الزمان ، الذي يقال عنه بأنه زمان الفتن ومرج الامانات والمرحومون فيه قليل ، فاللهم اجعلنا منهم واخواننا المسلمين اجمعين .

وموقف آخر :

فقد جاء في ترجمة القاضي سعيد بن سليمان المساحقي المالكي وكان سعيد هذا من جلساء الامام مالك بن انس واصحابه ، وكان مُسدداً في قضائه . قال ابن الماجشون عليه رحمة الله وبركاته : (شَهِدَ سعيد بن سليمان عند ابن عمران الطلحي وهو قاض، فرَدَّ شهادته، فلما وَلِيَ سعيد شَهِدَ عنده ابن عمران فنظر سعيد في شهادته ففكر قليلاً ثم قال لكاتبه :

أَجِزْ شهادته يا ابن دينار ، فإنّ المؤمن لا يشفي غيظه !)[3] .

فالمؤمن لا يشفي غيظه ، والمؤمن يهضم نفسه ، والمؤمن يتواضع لأخيه لله تعالى فليس بينه وبينه معارك وخلافات وانما خلافاته ومعاركه مع النفس والهوى والشيطان والباطل يحاربه ويكافحه ويشتبك معه ، واذا وقع

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٢ / ٤١٤)

(٢) تهذيب ابن عساكر (٥ / ٢٩٨)

(٣) ترتيب مدارك (١ / ٢٩٥)

عليه الاذى من اخيه اعتبره بلاء وقع عليه بذنبه أو ذنب اخيه ، وهذا ما اعتبره الامام احمد بن حنبل حين اعتدى عليه بعض اخوانه ، فقد قال أبو محمد فوزان : (جاء رجل الى أحمد بن حنبل فقال له : نكتب عن محمد بن منصور الطوسي ؟ فقال : اذا لم تكتب عن محمد بن منصور فعمّن يكون ذلك - مراراً - ؟

فقال له الرجل : انه يتكلم فيك ، فقال أحمد : رجل صالح، ابتلي فينا، فما نعمل ؟) [1].

انه الاحتمال في ذات الله عز وجل مع هضم النفس ، فلا عتاب ولا ملامة ، فقد قيل : (ان الاحتمال قبر المَعاتب) [2] كما ان الخصومة قبر الاخوة والحب والود الى الابد ، ولو علم المسلمون ما يعقب الخصومة لقصروا ، ولكنهم لم يفكروا في العواقب ، ولو أنهم فكروا لرجعوا وراءهم فالتمسوا نورا .

واليك موقفاً آخر وقع بين عالمين جليلين ، انه موقف مؤلم ، ولكنه موقف أخوي ، يقول المؤرخ عبد الحي اللكنوي - رحمه الله تعالى : (انه كانت بين السيد صديق خان القنوجي ومحمد عبد الحي اللكنوي منافسات شديدة ومع ذلك لما توفي الشيخ عبد الحي تأسف السيد صديق خان بموته تأسفاً شديداً ، وما اكل الطعام في تلك الليلة ، وصلى عليه صلاة الغائب، نظراً الى سعة اطلاعه في العلوم والمسائل ، وقال حفيد صديق حسن خان : أن السيد أمر باغلاق بلدة - بهوبال - التي هو ملكها ثلاثة أيام حَزناً على الشيخ - أبي الحسنات - وقال : اليوم مات ذوقُ العلم ! وما كان بيننا من منافسات إنما كان للوقوف على المزيد من العلم والتحقيق)[3]

---

(١) طبقات الحنابلة (١ / ١٩٦)

(٢) نزهة الألباء - للانباري (٣٠٠)

(٣) الرفع والتكميل - لعبد الحي اللكنوي (٣٢)

فيا أيها المسلمون .. ألاّ يسعنا ما وسعهم ، اليس لنا فيهم قدوة وأسوة ، فهؤلاء هم علماؤنا وفقهاؤنا ومربونا ومشايخنا ، ينبغي أن نأخذ عنهم الاخلاق والسلوك .

كما ينبغي علينا أن نأخذ عنهم العلم والفهم والمعرفة ، فيالله ما أبعدنا عن التماس انوارهم والاقتباس من شموعهم !

وهذا ايضاً موقف آخر ـ والمواقف كثيرة ، كثيرة جداً ـ في أن الخلاف فتنة وأي فتنة ، فهذا ـ الامام يحيى بن يحيى ـ عاقل أهل الاندلس ـ كما سماه الامام ـ مالك بن انس ـ وكان هذا الامام قد جمع الله سبحانه فيه خصال الخير كلها . قال : (حملني ابن بشير بمسائل أسأل عنها ابن القاسم فأجابني فيها ، ثم قدم محمد بن خالد من المدينة فسأله ايضاً عنها ، فخالفت روايتي روايته ، فقدمت على ابن القاسم فقلت له : يا أبا عبد الله ، وفدنا اليك بمسائل ، أنا وصاحبي ، واهل بلدي ينظرون الينا وقد اختلفت روايتنا عنك ، فمتى سرنا الى بلدنا عن رجل واحد، بروايتين مختلفتين في شيء واحد ادخلنا عليهم فتنة ، فتدارك النظر فيها ، فقال : صدقت ونصحت ، ثم أرسل إلي صاحبي فقال له :

أوهمت عليك فرد ما معك الى ما مع صاحبك ، ففعلنا !)[1]

وقال أبو بكر بن أصبغ المالكي قال أبي : (أخذ ابن القاسم بيدي يوماً ، فقال لي : يا أصبغ أنا وأنت اليوم في هذا الأمر سواء ، فلا تسألني عن هذه المسائل الصعبة بحضرة الناس ، ولكن بيني وبينك ، حتى انظر وتنظر)[2]

فانه ليس من مبرر معقول ومعلول يبيح للعلماء فتنة العامة على صفحات الجرائد وفي المجلات وعلى خشبة منبر رسول الله ـ ﷺ ـ حتى يضج

---

(١) ترتيب المدارك (٢ / ٣٦ ـ ٣٧)

(٢) ترتيب المدارك (٢ / ٥٦٣)

الناس ويفتنوا في نقاش مسائل لا تخص اكثرهم أو لا تعنيهم شيئاً ، فلا تثقلوا على الناس فتملوا أيها الدعاة ، فالمؤمن .. حسن المعونة ، قليل المؤونة . فيا أيها الدعاة ان منكم منفرين ، فاتقوا الله ولا تتولوا مدبرين .

ومن ادب النقاش ما تم بين ابي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما جميعاً ـ فان عمر بن الخطاب مع ثقته في ابي بكر ومحبته له إلاّ إنه كان يختلف معه في الرأي أحياناً ويشتد ، فاذا رآه مُصِرّاً على رأيه تنازل لعلمه أن التوافق يُمن وأحمد عاقبة . فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : (لما توفي رسول الله ـ ﷺ ـ استخلف أبو بكر ، وكفر من كفر من العرب . فقال عمر : كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الاّ الله ، فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلاّ بحقه ، وحسابه على الله ؟ فقال : والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله ـ ﷺ ـ لقاتلتهم على منعها . قال عمر : فوالله ما هو الا ان رأيت ان قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق)[1] انه التمازج الروحي والاخوة الحقة بين المؤمنين التي يلتمس فيها المؤمن الحقيقة عند أخيه وإن كان له مخالفاً ، إنه ادب النقاش والحوار واسلوب المؤمنين .

وصدق الامام ـ سفيان الثوري ـ حين قال : (اذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي قد اُختُلِفَ فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه !)[2]

---

(١) البخاري (رقم / ٦٩٢٤)

(٢) المجلة القطرية (اصلاح ص ٢٨)

سد باب النقل ورد قالة السوء

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ الحجرات - (٦)

فاذا أردت سعة الصدر وطيب القلب والخاطر ، فلا تسمع أحداً في احد، ولا تلتفت الى حديثهم، أما علمت أن كثيراً منهم لا يعقلون ولا يتثبتون !

فالنمام رجل مريض قد امتلأ عقله بالتخيلات ، وقلبه بالظنون السيئة فالناس معه أبداً في الهمز واللمز والطعن ، والعيب والتلصص ، قد شغل بالناس عن شؤونه وخويصة نفسه ، ولو علم أن لو كانت للناس مناقب ملء الأرض ما تنفعه ، ولو كانت لهم مساوى ملء الارض ما ضرته ، لكان في نفسه شغل وأي شغل !

يقول الامام - محمد بن ادريس الشافعي : (نزهوا اسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به ، فان المستمع شريك القائل ، وان السفيه ينظر الى أخبث شيء في وعائه فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم ، ولو رُدت كلمة السفيه لسعد رادها ، كما شقي بها قائلها !) [١] وذلك لان النمام والساعي بقالة السوء يتخذ ذلك سُلماً الى الفتنة وافساد صفو الاخوان ، وعلى هذا ينبغي محاربة النمام وصده عن طريقته غير المثلى ، لعله يتدارك ما فرط منه وإلا كنا شركاء له في اثمه وافساده ، قال الامام - محمد بن ادريس الشافعي - عليه رحمة الله تعالى : (قبول السعاية أضر من السعاية ، لأن السعاية دلالة ، والقبول اجازه، وليس من دل على شيء كمن قبل وأجاز .

حلية الاولياء (٩ / ١٢٣)

والساعي ممقوت ، اذا كان صادقاً ، لهتكه العورة ، واضاعته الحرمة ، ومعاقب، ان كان كاذباً ، لمبارزته الله بقول البهتان ، وشهادة الزور)[1]

اين هؤلاء من صدى صوت رسول الله - ﷺ - حين يقول : (لا يدخل الجنة قتات)[2] وفي رواية مسلم:-(نمام) .

واين هؤلاء من قوله - ﷺ - : (المؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن أخو المؤمن ، يكفّ عليه ضيعته ، ويحوطه من ورائه)[3]

اليس هؤلاء من قتل - أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه - حين قاموا بعملية احصاء لكل اجتهاداته وصوروها بحسب ما يتخيلون في عقولهم المريضة ، وما يظنون من قبل قلوبهم الضعيفة ، فاتخذوا ذلك سُلماً الى الفتنة ، يقول - حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه وارضاه - حين علم بمقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه - : (اللهم العن قتلته وشُتّامه ، اللهم انا كنا نعاتبه ويعاتبنا ، فاتخذوا ذلك سلّماً الى الفتنة ، اللهم لا تمتهم الآ بالسيوف)[4] اين هؤلاء من قوله سبحانه وتعالى : (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذابٌ اليمٌ في الدنيا والآخرة)[5] فليس هناك الآ الأوبة الى الله تعالى، فلا تبسط يدك الآ الى خير ، ولا تقل بلسانك الآ معروفاً ، فإن - الفضيل بن عياض - يدلك على طريقة آمنة مسلوكة، تحسن فيها توبتك وتغسل بها حوبتك فيقول : (لم يدرك عندنا من ادرك ، بكثرة صيام ولا صلاة ، وانما ادرك بسخاء الانفس ، وسلامة الصدر ، والنصح للأمة)[6] .

ونضيف ايضاً فنوصيك - أن يكون شعارك دائماً النظافة : النظافة في الضمير والتفكير ، وفي اللسان وفي اليد ، وفي الثوب وفي البدن ، والمطعم والمشرب ، والتعامل والمسلك ، فان مما أوصى الله تعالى به وأحب (إن الله يُحب التوابين، ويُحب المتطهرين) اللهم اجعلنا منهم .. آمين .

---

(١) حلية الاولياء (٩ / ١٢٣)
(٢) البخاري (رقم / ٦٠٥٦) ومسلم (رقم / ١٠٥) وابو داود (رقم / ٤٧٧١)
(٣) الاحاديث الصحيحة (رقم الحديث ٩٢٦)
(٤) ابن الاثير (٣ / ٥١)
(٥) سورة النور (١٨)
(٦) غربة الاسلام - لابن رجب الحنبلي (٨٧)

التنادي إلى اصلاح ذات البين

(لا رأى لمن لا طاعة له)

(علي بن أبي طالب)

فقد جاءت الدعوة الى اصلاح ذات البين بين المسلمين في آيات واحاديث كثيرة كقوله تعالى : (لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) ـ النساء (١١٤) .

وقوله سبحانه وتعالى : (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) ـ الانفال (١)

وجاء ايضاً قوله تبارك وتعالى :

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ) ـ الحجرات ـ (١٠)

ومما جاء من الأحاديث في الترغيب والترهيب في اصلاح ذات البين :

عن أبي ايوب رضى الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ قال :

(لا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ ، يلتقيان ، فيُعرِضُ هذا ، ويُعرِضُ هذا، وخيرُهما الذي يبدأ بالسلام)[١]

وقوله ـ ﷺ ـ في المتخاصمين ، وهو حديث فيه من الترهيب ما فيه لكل من سولت له نفسه الامعان في الخصومة والشحناء .

---

(١) البخاري (رقم / ٦٠٧٧) مسلم (رقم / ٢٥٦٠)

فعن أبي هريرة قال ، قال رسول الله - ﷺ - : (من كانت له مظلمةٌ لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل ان لا يكون دينارٌ ولا درهم، ان كان له عملٌ صالحٌ أخذ منه بقدر مظلمته . وإن لم يكن له حسناتٌ أُخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)[1] .

وعن ابي هريرة ايضاً قال ، قال رسول الله - ﷺ - :
(لتؤدُّنَّ الحقوق الى أهلها يوم القيامة ، حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)[2] .

وممن ذكر النبي - ﷺ - أسماءهم في الخاسرين يوم القيامة المفلس صاحب الخصومة والشحناء المعتدي على المسلمين بالقول أو الفعل ، أو بالقول والفعل جميعاً . فعن ابي هريرة ، أن رسول الله - ﷺ - قال: (أتدرون ما المفلس؟

قالوا : المفلسُ فينا من لا درهم له ، ولا متاع . فقال : إنَّ المفلس منْ امتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة . ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مالَ هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل ان يقْضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم يُطرح في النار)[3] .

ياذا الجلال والاكرام برحمتك استغيث لا تكلني الى نفسي ولا طرفة عين، ولا تكلني الى احدٍ من خلقك ، لا اله إلاّ انت ولا معبود سواك .

---

(١) رواه البخاري (رقم / ٢٤٤٩)

(٢) اخرجه مسلم (رقم / ٢٥٨٢)

(٣) رواه مسلم (رقم / ٢٥٨١) الترمذي (رقم / ٢٤١٨)

الفصل الرابع

نماذج رائعة في أُخُوّة من سَلَفْ

(فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ)[1]

☆ الموقف الاول :

عن أنس بن مالك : أنه قال : لما نزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي) (الحجرات / آية ٢) الى آخر الآية. جلس (ثابت بن قيس) في بيته وقال أنا من اهل النار واحتبس عن النبي ﷺ فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو ما شأن ثابت ؟ أشتكى قال سعد انه لجاري وما علمت له بشكوى قال فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ فقال ثابت : أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ فأنا من اهل النار ، فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ فقال رسول الله « بل هو من اهل الجنة »[2] .

☆ الموقف الثاني :

عن الامام ابي حازم الاعرج - رحمه الله تعالى قال : (لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم أربعين فقيهاً، أدنى خصلة فينا التواسي بما في ايدينا ، وما رأيت في مجلسه متماريين، ولا متنازعين فى حديث لا ينفعنا !)[3]

---

(١) الانعام ٩٠

(٢) مسلم (رقم ١١٩)

(٣) سير اعلام النبلاء (٥ / ٣١٦)

☆ الموقف الثالث :

روى الخطيب بسنده ، عن عبيد الله بن عبد الكريم ، قال : (سمعت أحمد بن حنبل ، وذكر عنده - ابراهيم بن طهمان - وكان متكئا من علة - فاستوى جالساً ، وقال : لا ينبغي أن يُذكر الصالحون فيتكأُ)[1]

☆ الموقف الرابع :

قال أبو عثمان المازني : (كنا عند أبي زيد سعيد بن أوس اللغوي فجاء الاصمعي فأكب على رأسه وجلس ، وقال : هذا عالمنا ومعلمنا منذ ثلاثين سنة . فنحن كذلك اذ جاء خلف الأحمر فأكب على رأسه وجلس، وقال : هذا عالمنا ومعلمنا منذ عشر سنين !)[2]

☆ الموقف الخامس :

قال أبو زكريا العنبري : (شهدت جنازة حسين القباني سنة (٢٨٩) فصلى عليه أبو عبد الله - يعني البوشنجي - فلما انصرف قدمت دابته ، فأخذ أبو عمرو الخفاف بلجامه وابن خزيمة - إمام الائمة - بركابه والجارودي وابراهيم بن أبي طالب يسويان عليه ثيابه ، فمضى ولم يكلم واحداً منهم !)[3]

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية (١ / ٢٣١)

(٢) تاريخ بغداد (٩ / ٧٧ - ٧٨)

(٣) تهذيب التهذيب (٩ / ٩) (البوشنجي - هو محمد بن ابراهيم بن سعيد - شيخ اهل الحديث في عصره)

☆ الموقف السادس :

اخرج ـ ابن كثير في تاريخه : (أن أبا محمد البربهاري الحنبلي ـ العالم الزاهد الفقيه ـ عطس يوما وهو يعظ ،فشمته الحاضرون، ثم شمته من سمعهم ، حتى شمته أهل بغداد ، فانتهت الضجة الى دار الخلافة)[1]

☆ الموقف السابع :

روى الامام عبد الرحمن بن الجوزي في كتابه ـ مناقب الامام أحمد بن حنبل ـ أن اسحاق الشهيد قال : (كنت أرى يحيى القطان يصلي العصر ، ثم يستند الى اصل منارة مسجد ، فيقف بين يديه علي بن المديني ، والشاذكوني ، وعمرو بن علي ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وغيرهم ، يستمعون الحديث ، وهم قيام على ارجلهم ، الى ان تحين صلاة المغرب لا يقول لأحد منهم اجلس ، ولا يجلسون هيبة وإعظاماً)[2]

☆ الموقف الثامن :

اخرج الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخه أن ادريس بن عبد الكريم قال، قال لي سلمة بن عاصم النحوي : (أريد أن أسمع كتاب العدد من خلف فقلت لخلف فقال : فليجيء ، فلما دخل رفعه لأن يجلس في الصدر ، فأبى ، فقال : لا أجلس إلاّ بين يديك ، وقال : هذا حق التعليم : فقال له خلف : جاءني أحمد بن حنبل ليسمع حديث أبي

(١) البداية والنهاية (١١ / ٢٠١)
(٢) المناقب (٨٣)

عوانه فاجتهدت أن ارفعه، فأبى ، وقال : لا أجلس إلاّ بين يديك ، أُمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه !)[1] .

☆ الموقف التاسع:

اخرج الحافظ شمس الدين محمد بن علي الداودي في طبقاته عن الامام أبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى (٢٢٢ هـ) انه قال : (ما دققت على مُحدث بابه قط ، وفي رواية : ما أتيت عالماً قط فاستأذنت عليه ، ولكن صبرت حتى يخرج اليّ وتأولت قول الله تعالى : (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم)[2] .

☆ الموقف العاشر :

فقد جاء في تاريخ بغداد أن المأمون كان قد وكل الفراء يلقن ابنيه النحو ، فلما كان يوما أراد الفراء أن ينهض إلى بعض حوائجه ، فابتدرا الى نعل الفراء يقدمانه له، فتنازعا أيهما يقدمه ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فردا ، فقدماها . وكان المأمون له على كل شيء صاحب، فرفع ذلك اليه في الخبر، فوجه الى الفراء فاستدعاه ، فلما دخل عليه قال له : من أعز الناس ؟ قال ما اعرف أعز من أمير المؤمنين ، قال بلى ! من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين ، حتى رضى كل واحد أن يقدم له فردا . قال يا أمير المؤمنين لقد أردت منعهما عن ذلك ولكن خشيت ان أدفعهما عن مكرمة سبقا اليها ، أو أكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها . وقد روى عن ابن عباس أنه امسك للحسن والحسين ركابيهما حين خرجا من عنده ، فقال له بعض من حضر ، أتمسك لهذين الحدثين ركابيهما وأنت أسن

---

(١) تاريخ بغداد (٩ / ١٣٤)

(٢) لبقات المفسرين (٢ / ٣٦)

منها ؟ قال له اسكت يا جاهل، لا يعرف الفضل لاهل الفضل الا ذوو الفضل . قال له المأمون : لومنعتها عن ذلك لأوجعتك لوما وعتبا ، والزمتك ذنبا ، وما وضع ما فعلاه من شرفهما ، بل رفع من قدرهما ، وبين عن جوهرهما وقد ثبتت لي مخيلة الفراسة بفعلهما ، فليس يكبر الرجل - وان كان كبيرا - عن ثلاث . عن تواضعه لسلطانه ، ووالده، ومعلمه العلم . وقد عوضتها عما فعلاه عشرين ألف دينار ، ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما) [1]

☆ الموقف الحادي عشر :

فقد اخرج الخطيب البغدادي في (تاريخه) عن عبد الله بن الخطيب : (أن الطيب بن اسماعيل أبا حمدون وهو أحد القراء المشهورين كانت له صحيفة فيها مكتوب ثلاثمائة من أصدقائه ، وكان يدعو لهم كل ليلة ، نتركهم فنام ، فقيل له في نومه : يا أبا حمدون لِمَ لَمْ تسرج مصابيحك الليلة ، قال : فقعد فأسرج ، وأخذ الصحيفة فدعا لواحد واحد حتى فرغ) [2]

☆ الموقف الثاني عشر :

قال قتيبة بن سعيد : (قدمت بغداد وما كانت لي همة إلاّ أن ألقى أحمد بن حنبل فاذا هو جاءني مع يحيى بن معين فتذاكرنا ، فقام أحمد بن حنبل وجلس بين يدي ، وقال أمل على هذا ، ثم تذاكرنا، فقام أيضاً وجلس بين يدي ، فقلت : يا أبا عبد الله اجلس مكانك ، فقال: لا تشتغل بي ، إنما أريد أن آخذ العلم على وجهه !) [1] .

---

(١) تاريخ بغداد (١٤ / ١٥٠ ـ ١٥١)

(٢) تاريخ بغداد (٩ / ٣٦١)

☆ الموقف الثالث عشر :

روى ابن الجوزي ـ في مناقب الامام أحمد بن حنبل ـ عن عمر والناقد قال : (كنا عند وكيع وجاء أحمد بن حنبل فقعد وجعل يصف من تواضعه بين يديه ، قال عمرو فقلت : يا أبا عبد الله ، ان الشيخ يُكرمك فمالك لا تتكلم؟ قال: وان كان يكرمني، فينبغي لي أن أجله!) [٢] .

☆ الموقف الرابع عشر :

قال محمد بن منصور : (كنا في مجلس ـ أبي عبد الله البخاري ـ فرفع إنسانٌ قذاة من لحيته وطرَحَها إلى الأرض، فرأيت البخاري ـ ينظر اليها والى الناس ، فلما غفل الناس رأيته مَدَّ يَده فرفع القذاة من الارض فأدخلها في كُمه ، فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها وطرحها على الأرض !) [٣]

☆ الموقف الخامس عشر :

اخرج الامام ـ السبكي ـ في طبقاته ـ عن أبيه أنه حكى : (أن الشيخ ـ عز الدين بن عبد السلام ـ كان يسمع الحديث قليلا ـ بدمشق ـ فلما دخل ـ القاهرة ـ بطل ذلك وصار يحضر مجلس الشيخ ـ زكي الدين ـ ويسمع عليه في جملة من يَسمع، ولا يُسمع . وأن الشيخ زكي الدين ايضاً ترك الفتيا وقال : حيث دخل الشيخ عز الدين لا حاجة بالناس الى) [٤] .

---

(١) المناقب (٨٢)

(٢) المناقب (٨٢)

(٣) شروح البخاري (١٠٢)

(٤) طبقات الشافعية (٥ / ١٠٩)

☆ الموقف السادس عشر :

اخرج الامام أبو حاتم الرازي - في تاريخه - هذه الرسالة اللطيفة التي بعث بها الامام اسحاق بن راهويه - لتلميذه ابي زرعة والتي تعبر عما كان عليه سلفنا الصالح من المودة الخالصة والمحبة العميقة فيقول فيها : (اني ازداد بك كل يوم سرورا ، فالحمد لله الذي جعلك ممن يحفظ سنته ، وهذا من أعظم ما يحتاج اليه اليوم طالب العلم،

وإن أحمد بن ابراهيم لا يزال في ذكرك الجميل حتى يكاد يفرط ، وإن لم يكن فيك بحمد الله افراط . واقرأني كتابك اليه بنحوما أوصيتك من اظهار السنة وترك المداهنة ، فجزاك الله خيراً فدم على ما أوصيك ، فان للباطل جولة ثم يضمحل، وأنك ممن أحب صلاحه ودينه، واني اسمع من إخواننا القادمين ما أنت عليه من العلم والحفظ فأسر بذلك !) [1]

☆ الموقف السابع عشر :

ذكر الامام صديق حسن خان - في كتابه ابجد العلوم - إن امام النحاه، وحافظ اللغة محمد بن عبد الله بن مالك كان اذا صلى بالعادلية وكان امامها يشيعه قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان الى بيته تعظيماً له) [2] .

☆ الموقف الثامن عشر :

وهو موقف آخر للقاضي عز الدين أبي البركات أحمد بن ابراهيم بن نصر الله الحنبلي ولد في (٨٠٠ هـ) بالقاهرة - وكان شيخ الامام عبد الرحمن

---

(١) تقدمة الجرح والتعديل (١ / ٣٢٩)

(٢) ابجد العلوم (٢ / ٢٤)

السخاوي - وله معه أخبار ومراسلات وعناية عجيبة نستعرض بعضها ، فكان يقول في رسائله له : (والأوراق أضيق من أن نصف فيها ما عندنا من الشوق اليكم) .

وقال : (ولما قدمت من مكة ، تلقاني وحلف لي مجتهداً ، أنه لا يعلم بمقتضى ما عنده من المحبة ، من سَرّ كسروره سلامتي) وقال له مرة : (والله أحب ان اراك كل يوم، ولا أتكلف المجيء اليك الى بيتك كل وقت) وقد كتب لي بخطه بالثناء البالغ، فكان مما كتبه على (الجواهر) و (الدرر) وقد استعارها مني لمطالعتها ما نصه : (أما بعد : فقد وقفت على هذا الكتاب الحسن المفيد مستفيداً ، وكررت النظر الى محاسنه مبتدئاً ومُعيداً ، فكنت كما قال - ابن المعلم :

يزداد في مسمعي تكرار ذكركم طيباً ، ويحسن في عيني مكرّرُه

وكان كثيراً ما يقول له : (انت ذهبي زمانك، وأحق بالانتساب لشيخك من كل أحد - ويقصد بالشيخ - ابن حجر العسقلاني) يقول : (ولم يزل يصرح بتحسين كل ما يصدر عني حتى ما أنشأته من خطب ومراسلات ونحو ذلك ، بحيث ذكرت بحضرته مرة شيئاً من ذلك ، فقال لي : هذا دون عادتك، فقلت له : ما عسى أن يصدر من محدث، فقال : أنت لا يقال لك ذلك فيما تعمله وتنشئه) [1] الى غير ذلك مما يطول أيراده من المواقف النادرة في هذا الباب ، وصدق الحق سبحانه : (لا خير في كثير من نجواهم، الآ من أمر بصدقة، او معروف ، أو إصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله، فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) [2] .

اللهم اجعلنا ممن قدم خالصاً ، واكتسب مذخوراً ، وبنى عرضاً، وأحرز عوضاً، اللهم اجعلنا مثمرين، ولك عاملين راغبين ، يا ارحم الراحمين .

---

(١) الذيل على رفع الاصر (٣٢ - ٣٣)

(٢) النساء (١١٤)

الفصل الخامس

ميزان الاعتدال في معرفة الأقوال والرجال

«وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ»[1]

والمراد من ادراج هذا الفصل في هذا الموضع بالـذات، اولاً : ليعرف المسلم ما يجب عليه من تحري الموازين الشرعيـة ومـا احـالـت عليـه من الاشبـاه ، والنظائر ، والقرائن، في الاستدلال على معرفة الأقوال، والأفعـال، والرجـال. وهذا من شأنه الا يدع من شاء ليقول ما شاء بل تُعرض الاقوال ، والافعال، والمواقف على الشرع، فما وافق الشرع منها قبل ، وما خالفـه رد ، فـالرجـال المؤمنون ، والعلمـاء العـاملون ، أحبـاء الينـا، وقـدوة لنـا، ولكن الحق احب الينا منهم، والشرع هو المقياس الـذي لا يزول ، ولا يحول. ورحم الله تعـالى الامام مـالـك حيث قـال : (ليس أحد بعـد النبي - ﷺ - الا يؤخـذ من قوله ويترك، الاّ النبي - ﷺ -)[2] .

وثانياً : ان معرفة هذه الموازين وتحكيمهـا في اقوال الرجـال ومواقفهم ، تحسم مادة الخلاف ، وتقضي على كثير من شروره ، الذي طالما آذى وآذى.

ان تحكيم الموازين الشرعية والايمانية الخاص في تحـديـد سير العلاقـات ، والسلوك مع الآخرين تحد من التعدي ، والتعصب، والجرى مع الهوى، الذي يخيل للبعض - وخاصـة من لا يكون عنده من العـدل مـا يقهر بـه هواه ، ويسلك طريق الانصاف - والاطناب في مدح من يحبه ، والتقصير في غيره ، وهذا كله هو الذي حدا بنا لادراج هذا الفصل في هذا الموضع ، واليـك هـذه القواعد العامة التي تهدى الانسان في علاقاته وسلوكـه مع الآخرين الى تحري طريق اهل العدل والانصاف .

---

(١) الآية (٤٧) من سورة الانبياء

(٢) أبن حزم في أصول الأحكام (٦ / ١٤٥ - ١٧٩)

☆ القاعدة الاولى ..

الانسان يوزن بحسناته وسيئاته :

قال تعالى : (فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝) (١)

فانت ترى انّ الله أخبر أنّ من كانت حسناته هي الراجحة على سيئاته ، مع النّدم على السيئات ، كان على سبيل النجاة ، وطريق الفوز والفلاح .

ومن مالت سيئاته بحسناته كان العطب والعذاب أولى به (٢).

وقال سيد التابعين ـ سعيد بن المسيب :

(ليس من شريف ، ولا عالم ، ولا ذي فضل ، الاّ وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، فمن كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله) (٣) وذلك .. لانه ليس من شرط اولياء الله المتقين الا يكونوا مخطئين في بعض الأشياء خطأً مغفوراً لهم، بل ليس من شرطهم ترك الصغائر مطلقاً ، بل ليس من شرطهم ترك الكبائر أو الكفر الذي تعقبه التوبة . (٤) وهذا ما ذكره الذهبي في الميزان ـ بأنه ليس من شرط الثقة، أن يكون معصوماً من الخطايا والخطأ .

فالكامل الذي ليس فيه شيء عزيز ونادر الوجود، ومن لطيف ما ذكر ـ ابن الاثير ـ فى هذ المعنى قوله : (وانما السيد من عُدت سقطاته، وأُخذت غلطاته، فهي الدنيا لا يحمل بها شيء وقد صح عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال : حق على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلاّ وضعه) (٥)

---

(١) المؤمنون (١٠٢)

(٢) رسائل الجاحظ (١ / ١٠٦)

(٣) ذيل التبر المسبوك ـ للسخاوي (٤)

(٤) مجموعة الفتاوى ـ لابن تيمية (١١ / ٦٦ ـ ٦٧)

(٥) اللباب في تهذيب الانساب (١ / ٩)

وهذا الميزان ينبغي أن نطبقه مع اخواننا ومشايخنا ، فلا نغلو فيهم، ولا ننقصهم حقهم الذي لهم لمجرد هفوة صدرت من أحدهم ربما كانت فلتة، أو عارضة، يقول الحافظ الذهبي - عليه رحمة الله تعالى : (إن الكبير من أئمة العلم ، اذا كثر صوابه وعلم تحرّيه للحق ، واتسع علمه ، وظهر ذكاؤه ، وعُرف صلاحُه وورعه وإتباعه، يُغفر له زلله، ولا نضلله ونطرحه، وننسى محاسنه، نعم، ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ، ونرجو له التوبة من ذلك)[1] .

فلا نُشهر بأحد ولا نبالغ في افشاء ستره ، ولو فتح هذا الباب ، لما سَلِمَ لنا أحد من الأئمة والدعاة، اذ ما من امام الاّ وقد طَعَنَ فيه طاعنون ، وهلكَ فيه هالكون ، يقول الامام - السبكي - رحمه الله تعالى : (من ثبتت امامته وعدالته ، وكثر مادحوه ومزكوه ، ونَدرَ جارحوه ، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه ، من تعصب مذهبي أو غيره ، فإنّا لا نلتفت الى الجرح فيه ، ونعمل فيه بالعدالة)[2] .

فليس صنف من الناس الاّ وله حشو وشوب، ومن ذا صفا فلم يكن له عيب ؟ وخلص فلم يكن فيه شوب ؟[3]

☆ القاعدة الثانية ..

التحري والتصور لجميع حال ذلك الانسان : يقول - ابن حجر - عليه رحمة الله تعالى :

(ان الذي يتصدى لضبط الوقائع - من الأقوال والافعال والرجال - يلزمه التحري في النقل ، فلا يجزم الا بما يتحققه ولا يكتفي بالقول الشائع ، ولا سيما ان ترتب على ذلك مفسدة من الطعن في حق أحد من أهل العلم والصلاح ، وان كان في الواقعة أمر فادح - سواء كان قولا او فعلاً، او موقفاً - في حق المستور، فينبغي أن لا يبالغ في افشائه ، ويكتفي

---

(١) سير اعلام النبلاء (٥ / ٢٧٩)

(٢) قاعدة في الجرح والتعديل (١٠)

(٣) كتاب : ابن قتيبة - للدكتور عبد الحميد سند الجندي (٣٠٧)

بالاشارة ، لئلا يكون وقعت منه فلتة ، ولذلك يحتاج المسلم أن يكون عارفا بمقادير الناس وبأحوالهم ومنازلهم فلا يرفع الوضيع ، ولا يضع الرفيع)[1] ولهذا قال جمهور العلماء ـ : (لا يثبت الجرح الاّ مفسرا مبين السبب . لئلا يجرح بما يتوهمه جارحا ، وليس جارحا)[2] مثال :

قيل لشعبة : (لم تركت حديث فلان ؟ قال : رأيته يركض على برذون فتركته)[3] .

ومثال آخر : سئل الحكم بن عتبة : (لِمَ لم تروِ عن ـ زاذان ؟ قال : كان كثير الكلام)[4] .

وقال ـ الشافعي ـ عليه رحمة الله : (حضرت بمصر رجلاً مزكياً يجرح رجلاً ، فسئل عن سببه وألح عليه فقال : رأيته يبول قائماً ، قيل : وما ذلك ؟ قال : يردُّ الريحُ من رشاشه على يده وثيابه . فيصلي فيه ، قيل : هل رأيته قد أصابه الرَّشاشُ وصلّى قبل أن يغسل ما أصابه ؟ قال : لا ولكن أراه سيفعل)[5] .

فيا لله ! لو أُعطي أُناس بدعواهم، لذهبت اموال وانفس كثيرة، لا يعلمها الا الله تبارك وتعالى . فإياك وسماع الدعاوي فانها لا تثمر خيراً، وأكثر الشرور تأتي من قبلها . فمن صحت عدالته، وعُلمت بالعلم عنايته ، وسلم من الكبائر ، ولزم المروءة ، وكان خيره غالباً ، وشره أقل عمله ، فهذا لا يقبل فيه قول قائل لا برهان له به ، فدلائل الامور أشد تثبيتاً من شهادات الرجال ، إلاّ أن يكون في الخبر دليل ، ومع الشهادة برهان ، لأن الدليل لا يكذب ، ولا ينافق ، ولا يزيد ولا يُبدّل، وشهادة الانسان لا تمتنع من ذلك، وهذا هو الحق إن شاء الله تعالى الذي لا يصحُّ غيره.

---

(١) ذيل التبر المسبوك للسخاوي (٤)

(٢) شروح البخاري (١١)

(٣،٤) الرفع والتكيل ـ لعبد الحي اللكنوي (٦٦ / ٦٧)

(٥) قاعدة في الجرح والتعديل (٥٤)

☆القاعدة الثالثة ..

التثبت من كـلام الأُقران وأربـــاب المذاهب والجماعات في بعضهم :

كلام الاقران بعضهم في بعض لا يعبأ بـه ، ولا سيا اذا لاح لـك انـه لعـداوة ، أو مـذهـب ، او لحسـد ، يقـول الـذهبي (ومـا علمت أن عصراً من الاعصار سلم أهله من ذلـك سوى الانبيـاء ، والصّـدّيقين ، فلو شئت لسردت من ذلك كراريس) [1] .

ويقـول ايضـاً (فكـلام الاقران يُطـوى ولا يروى ، فـإن ذُكر تـأملـه المحدّث، فإن وجـد لـه متـابعـاً ، والاّ أعرض عنـه) [2] ومثل ذلـك ، الخلاف الذي وقع وما يزال بين أرباب المذاهب الفقهية كالخلاف الواقع بين كثير من الصوفية وأصحاب الحديث، والمتمذهبة والذين يقولون بعدم التمـذهب، ومثله ما يقع الآن بين الجمـاعـات من التطـاول على بعضهم البعض ، وربمـا تعـدى بعضهم وتعصب وجرى مع هواه حتى يصل الى الغلو في خصومتـه ، مثـل أن يحرف كلام غيره ، أو ينقص منه ، أو يزيد عليه، أو يسيء الظن بمقالتـه ، ويؤول كلامه ، مثل ما صار في تحريف كلام بعض الكتاب ومقالاته ، حتى قيـل لنـا ، لا يقرأ لفـلان ، ولا يصلّى وراء فـلان، وتجنب مسجـد فـلان، وخطبة فلان، ورحم الله الامام ـ عبد الله بن المبارك ـ رحمة واسعة ، قـال ـ نعيم بن حماد ـ : (كان ابن المبارك لا يترك حديث الرجل حتى يبلغه عنه الشيء الذي لا يستطيع أن يدفعه) [3] وعلى هذا لو ذهبنـا نترك كل كتـاب

---

(١) ميزان الاعتدال ـ ترجمة الحافظ (أبو نعيم)

(٢) سير اعلام النبلاء (٥ / ٢٧١)

(٣) تقدمه الجرح والتعديل (١ / ٢٧)

وقع فيه غلط أو فرط من مصنفه سهو أو سقط ، لضاق علينا المجال، وقصر السجال، وجحدنا فضائل الرجال . فهـ ه المصنفات كما تراها ، ما فيها إلاّ ووقع فيه عيب ، وعُرف منه غلط بغير شك، ولم يجعله الناس سبباً لرفضها وهجرها، ولا توقفوا عن الاستضاءة بأنوار الهداية. فيجب الاحتراس كل الاحتراس من مثل هذا ، فأكثر الناس قد قيل فيهم ما قيل وهم ليسوا كذلك وبعيدون عما قيل فيهم ، فمن طلب عيبا في الناس وجدٌ وجَدَ، ومن افتقد زللهم بعين الرضا فقد فقد، فالمرءُ غير معصوم، والخطأ في الانسان غير معدوم، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر .

☆ القاعدة الرابعة ..

الخبرة بمدلولات الألفاظ ومقاصدها :

فقد يوحش اللفظ وكله ود ، ويكره الشيء وليس من فعله بدٌ ، هذه العرب تقول (لا أبالك) في الامر اذا أهم ، و (قاتله الله) ولا يريدون الذم ، (وويل أمه) للأمر اذا تمّ ، ومن الدعاء (ترتب يمينك) .
ولذوي الالباب أن ينظروا في القول الى قائله ، فان كان ولياً فهو الولاء ، وان خشن، وان كان عدوا فهو البلاء وأن حسن [1] .
ويقول الامام ـ السبكي ـ رحمه الله تعالى : (فكثيراً ما رأيت من يسمع لفظة فيفهمها على غير وجهها، فيغير على الكتاب والمؤلف ومن عاشره، واستن بسنته، مع أن المؤلف لم يُرد ذلك الوجه الذي وصل اليه هذا الرجل .

---

(١) احكام صنعة الكلام ـ للكلاعي (٧٩)

فاذا كان الرجل ثقة ومشهوداً له بالايمان والاستقامة فلا ينبغي أن يحمل كلامه والفاظ كتاباته على غير ما تعود منه ، ومن أمثاله، بل ينبغي التأويل الصالح ، وحسن الظن الواجب به وبأمثاله) [1]

وليس شيء انفع لمن لا يدري مدلول الالفاظ ، من سوء الظن بنفسه ، والرجوع الى غيره ، وليس في الدنيا محسوب إلاّ وهو محتاج إلى تثقيف وزيادة علم ، والمستعين بغيره أبداً على خير واحزم من المنفرد المستبد .

☆ **القاعدة الخامسة ..**

أن لا يجرح من لا يحتاج الى جرحه :

فينبغي على المسلم حفظ لسانه وصيانة جارحته عن أعراض المسلمين ، فليس المسلم على المسلم بحفيظ ، ولا بمسيطر ولا جبار، وإنك لن تهدي من احببت ، ولكن الله يهدي من يشاء .

☆ **القاعدة السادسة ..**

عدم الاكتفاء بنقل الجرح فقط فيمن وجد فيه الجرح والتعديل .

فهذا ظلم للعباد ان تنقل عنهم شرهم وتخفي خيرهم، وهذا إن دل على شيء فانما يدل على سوء الطوية نحو المسلمين وعدم حبهم ، وانصافهم، فليس من العدل أن يُسرد الجرح والثلب وبيان المساوىء ، ويُسكت عن التوثيق وبيان المحاسن، فالانسان يؤخذ بحسناته وسيئاته ، ولا شيء مثل الورع والسكوت عن الناس .

☆ **القاعدة السابعة ..**

الحذر من حسن الهيئة، فحُسن الهيئة مما يشترك فيه العدل والمجروح :

ونقصد أن على المسلم ان يتحرى الناس ويستوثق منهم من خلال اقوالهم

---

(١) قاعدة في الجرح والتعديل (٥٢)

وافعالهم ومواقفهم على موجب الحق والعدل، ولا يغتر بمظهرهم واشكالهم، فيرفع وضيعاً ، ويسمع منه ويعظمه لمجرد حسن هيئته ولباسه واظهاره للسنة والتزين بها ، ويضع رفيعاً لمجرد احتقاره لمنظره وسوء هيئته وعدم تحريه للسنة، والتزين بها، فالله يخبر عن المنافقين .. (﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾)[1] .

☆ القاعدة الثامنة ..

شرط جواز الجرح عدم قصد التحقير :

فان ذكر مساوىء الناس أو تقدم لنصيحة أو مصلحة شرعية ليس بمبرر لتحقير المسلم لأخيه المسلم، أو للتشفى أو الانتقام للنفس ونحو ذلك من الحظوظ النفسانية[2] .

قال تاج الدين بن السبكي : (كنت جالساً بدهليز دارنا، فأقبل كلب، فقلتُ : اخسأ كلب بن كلب، فزجرني الوالدُ من داخل البيت ، فقلت: أليس هو كلب بن كلب ؟ قال : شرط الجواز عدمَ قصد التحقير، فقلت : هذه فائدة .[3]

اللهم اخرجنا واخواننا من ضيق الجهل الى فضاء العلم، ومن سجن الهوى إلى ساحة الهُدى.. اهدنا صراطك المستقيم .

---

(١) الآية (٤) من المنافقون .

(٢) شرح الاحياء ـ للزبيدي (٨ / ٥٦٦)

(٣) الرفع والتكيل ـ اللكنوي (٤٦) .

الخاتمــة..

(يا مسلمي العالم اتحدوا)

ايها الشباب المسلم ..

إن أُمّتنا بما تقلبت فيه من اطوار، وما مر عليها من حوادث سياسية واجتماعية ، استبدت بدينها وأخلاقها، بحيث أينا وجهت وجهك لا تجد إلاّ ما يزرى ويخجل، حتى لقد اصبح الداء عاماً يئن تحته الفرد والجماعة .

وفي مثل هذه الظروف لحرام على المؤمن فيها أن ينشغل متلهيا عن هذه الحوادث الجسام التي لها ما بعدها على مستقبل الأمة ومصيرها بالمظاهر الخالية من الجهاد والتضحية والفداء الآ من المسابح والملابس ، والمساجد المزخرفة، والمناسبات الدينية التي قلما تتجدد فيها نفس أو تزكو بها روح .

أيها المسلمون كافة ..

أَهذا بِرَبّكم هو الإسلام الذي اراده الله أن يكون رحمته العظمى ، ومنّته الكبرى على العالمين ؟

اهذا هدى محمد - ﷺ - الذي اراد به أن يخرج النـاس من الظلمـات الى النور ؟

اهـذا هو تشريع القرآن الـذي عـالـج أدواء الأمم ومشكـلات الشعـوب ، ووضع للاصلاح ، أدق القواعد وأرسخ الأصول ؟

يا قومنـــا ..

هلموا الى منهج الحق والصراط السوي الـذي لو اتبعتمـوه لن تضلـوا بعـده أبدا، ولأرشدكم الى ما فيه خيركم وسعادتكم، ولجمعكم على كلمة سواء لا تعبـدون إلاّ الله ، ولهداكم سواء السبيل ، فهل انتم فاعلون ! .

عدنان سالم الرومي   علي صالح الهزاع

السبت الموافق ١٩٨٣/١٠/٢٢م

ومضة..

قال الخطابي :

كل من عثر منه على حرف او معنى يجب تغييره فنحن نناشده الله في اصلاحه واداء حق النصيحة فيه فإن الانسان ضعيف لايسلم من الخطأ الا ان يعصمه الله بتوفيقه ونحن نسأل الله عز وجل ذلك ونرغب اليه في دركه إنه جواد وهاب

[الف باء - ٦٧] (للبلوي)

المحتـــويـــات